الفصل الأول:

قيم طفل ما قبل المدرسة

- تمهيد

١- مفهوم القيم .

٢- الأهمية التربوية للقيم .

٣- أهمية القيم لطفل ما قبل المدرسة .

٤- طرق تكوين القيم لدى الطفل .

٥- جوانب نمو طفل ما قبل المدرسة .

٦- مصادر القيم لدى طفل ما قبل المدرسة .

* خلاصة .

تمهيد :

تناول الفصل السابق " الإطار العام للدراسة " حيث تضمن مقدمة ومشكلة الدراسة وأهدافها وأهميتها والمنهج المتبع فيها ، كما شمل عينة وأدوات الدراسة وحدودها ومصطلحاتها ، وأخيراً خطة الدراسة وخطوات السير فيها ، أما الفصل الحالى الذى جاء بعنوان " القيم للطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة " فهو يتناول مفهوم القيم فى الفلسفات المختلفة وأهميتها التربوية وطرق تكوينها لدى الطفل وجوانب نمو طفل ما قبل المدرسة وعلاقتها باكتساب القيم والمصادر التى يستقى منها طفل هذه المرحلة قيمه .

١ـ مفهوم القيم :

يعد مفهوم القيم من المفاهيم التى نالت اهتمام الباحثين فى المجالات المختلفة كالفلسفة والتربية والاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وغير ذلك من المجالات ، وقد ترتب على ذلك نوع من الخلط والغموض فى استخدام هذا المفهوم من تخصص لآخر ، بل يستخدم المفهوم استخدامات متعددة داخل التخصص الواحد(١) ، الأمر الذى جعل أحد علماء الاجتماع يصف القيمة بأنها الطفل غير السعيد الذى يعانى من بؤس وشقاء عدم علمنا به (٢) ، على أن تعدد الآراء وتكاثرها فى شأن مفهوم القيم ساهم كثيراً فى إلقاء الضوء على هذا المفهوم .

أـ المعنى اللغوى لكلمة (قيمة) :

ورد تعريف "القيمة " فى المعجم الوجيز بأنها قيمة الشئ " قدره " ، وقيمة المتاع ثمنه ، والقيوم من أسماء الله الحسنى ، والقيم من يقوم بالأمر ويسوسه ، "وكتاب قيم" أى

(١) عبد اللطيف خليفة : ارتقاء القيم ، عالم المعرفة ، العدد ١٦٠ ، المجلس الوطنى ، الكويت ، ١٩٩٢م ، ص٣٦ .
(٢) عدنان المحيا : القيم فى المسلسلات ، الرياض ، دار العاصمة ، ١٩٩٤م ، ص٢٩ .

ذو قيمة [١] ، والقيمة صفة كمية ضرورية لأى علاقة بين الذات والموضوع ، والعلاقة لا توجد إلا بوجود طرفين لو ذهب أحدهما لذهبت العلاقة [٢] .

وفى التنزيل قال تعالى :

" قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ .... " [٣]

وهى فى أصلها بمعني ثمن الشئ ، ثم نقلت إلى معني القدر والمنزلة.

ومما سبق يمكن القول بأن القيمة فى معناها اللغوى تعني الاستقامة والاعتدال والتوجه إلى الغاية دون ميل ، كما تعني تقدير الشئ وتقييمه ومعرفة قدره ومنزلته .

ب – المعني الاصطلاحي لكلمة (قيمة) :

تباينت الآراء فى تحديد مفهوم القيم ، فكل متخصص ينظر لها من زاوية تختلف عن الآخرين من ذوى التخصصات الأخرى بما يخدم تخصصه ، فعالم الاقتصاد يضع لها مفهوماً يتناسب مع علم الاقتصاد وما يرمى الوصول إليه والفيلسوف يحدد لها مفهوماً يتمشى مع نظرته الفلسفية ، وهكذا يفعل الآخرين فى تخصصاتهم ، فهو تباين جاء نتيجة الخلفيات الثقافية المختلفة [٤] ، فالبعض يرى أنها مجرد اهتمامات ورغبات غير ملزمة للأفراد ، والبعض الأخر يرى أنها الثقافة التى تميز مجتمع عن آخر [٥] وفيما يلي تتناول الدراسة بعضاً من المفاهيم التى تناولت موضوع القيم .

أولاً : مفهوم القيم فى الفلسفة :

اهتم الفلاسفة فى دراستهم بالقيم لتحديد وتوضيح مفهومها ، وقد جاء فى المعجم الفلسفي " القيمة من حق وخير وجمال تكون صفة عينية كامنة فى طبيعة الأشياء

---

(١) إبراهيم مدكور وأخرون : المعجم الوجيز ، القاهرة ، مجمع اللغة العربية ، ١٩٩١م ، ص ٥٢١ .
(٢) فيصل قدرى : نظرة ديناميكية فى علم النفس والقيم ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٨٨م، ص ٥٢ .
(٣) سورة الأنعام : من الآية (١٦١) .
(٤) السيد الشحات حسن :الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٨م ، ص ٥٧ .
(٥) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، القاهرة ، الهيئة العامة بشؤون المطابع الأميرية ، ١٩٨٢ م ص ١٥١ .

والأقوال والأفعال ، وما دامت كامنة فى طبيعتها فهى ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والملابسات ، وهى صفة يخلعها العقل على الأقوال الثابتة والأفعال والأشياء طبقاً للظروف والملابسات وبالتالي تختلف باختلاف من يصدر الحكم " (١)

ويتضح من هذا التعريف أن القيمة تأخذ طابعاً شخصياً ، فهى تعني استحسان الشئ والميل إليه ، ومن الواضح أن هذا التعريف يخلو من الموضوعية ، كما أن قيمة أى شئ تكون بأهميته ومنفعته ، وهى تعني أخلاق الفرد ومعتقداته وهى تختلف عند أفراد الطبقة الغنية عمن يخدمهم . (٢)

ويطلق آخرون لفظ " القيمة " على كل ما هو جدير باهتمام المرء وعنايته لاعتبارات سيكولوجية ، واقتصادية وأخلاقية وجمالية (٣) " والقيمة تجعل الأشياء مرغوباً فيها " (٤)

ومن الفلاسفة من يعرف القيمة بأنها " الخير والشر " مثل " بيبر Peber " "ومور Moor " " ولا مونت Lamont " – أما " بيبر " فيقول أن القيمة فى أوسع معانيها هى أى شئ خيراً كان أو شراً ، ولكنه لم يفسر المقصود بكلمة خير أو شر ، كذلك "مور" لم يشرح المقصود بكلمة خير لأنه يرى أن الخير غير قابل للتعريف أما " لا مونت " فيرى أن إسناد الخير أو الشر للأشياء ما هو إلا تعبير عن الاستحسان أو الاستهجان (٥) ، بينما يرى "جورج هنري J. enry " أن القيمة هى " أى شئ يمكن أن نجد فيه خيراً أو يحتوى على خير ويبدو أن هذا التعريف اتخذ من الخير والشر أساساً لتعريف القيمة " (٦) .

---

(١) مجمع اللغة العربية : المعجم الفلسفي ، القاهرة ، مؤسسة الخليج العربي ، ١٩٨٤ ص ١١ .

(2) Harper Collins Publishern : B B C English Dictionary , London , B. B. C English And Harper Collins Publishers, 1982 , p 1303 .

(٣) جميل صليب : المعجم الفلسفي ،ج٣ ، بيروت ، دار الكتاب ، ١٩٨٢م ، ص ص ٢١٢-٢١٥ .

(٤) مراد وهبه : المعجم الفلسفي ، ط ٣ ، القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٩ م ص ٣٤٣ .

(٥) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، القاهرة ،ط٢ ، دار الكاتب العربي ، ١٩٨٦ ، ص ص ٢١-٢٢ .

(6) J . Henry : Culture Against Man , New york , Random INC , 1983 , P. 14 .

ومما سبق يتضح أن المفاهيم الفلسفية للقيمة ركزت على الجوانب الشخصية الذاتية ، بمعنى أن القيم لها صلة بما يكمن داخل الفرد من رغبات واهتمامات واتجاهات وأنماط سلوكية ، وعموماً تعد المفاهيم الفلسفية التى كانت وما زالت إلى حد كبير محوراً لخلافات أساسية بين المدارس والمذاهب الفلسفية المختلفة متباينة ومتفاوتة بصورة تظهر الاختلاف بين الفلسفات المختلفة .

وسوف تتناول الدراسة فيما يلي مفهوم القيمة فى بعض الفلسفات :

القيم عند الفلسفة المثالية :

لا شك أن لمذهب "أفلاطون" تأثيراً عميقاً فى الفكر البشري فى مختلف عصوره سواءً أكان ذلك فى العصر القديم أم الحديث ، وبالنظر إلى هذا المذهب نجد أنه بحث فيما يجب أن يكون ، وقد رأى أفلاطون أن مصدر الإلزام لا يمكن أن يكون فى الحياة التى نحياها وإنما رده إلى عالم آخر غير هذا العالم الذى نعيش فيه ، فهو عالم توجد فيه الأشياء كاملة كما يجب أن تكون (١) ، كما أن القيم عند أفلاطون قيم مطلقة مثل الحق والخير والجمال ، وهذه القيم تكون موجودة فى حد ذاتها ، فهى قيم خالدة وأزلية وغير قابلة للتغيير ، ويدرك الإنسان هذه القيم من خلال تعامله مع الأشياء التى تحملها ، ومن خلال الخبرات العاطفية والانفعالية التى يمر بها ، ونتيجة لذلك يتشكل ضمير الإنسان ، فيحدد ما هو صواب وما هو خطأ، وهكذا نجد أن أفلاطون أرجع القيم إلى عالم المثل البعيد عنا وجعل هذه المثل ثابتة (٢) ، وهذه النظرة أدت إلى فصل القيم عن حياة الإنسان الواقعية ، وبدت هذه القيم صعبة التحقيق كما وحد أفلاطون بين المعرفة والفضيلة ، فالإنسان الذى يعرف هو الذى يسلك سلوكاً فاضلاً والذى لا يعرف يقع فى الخطأ لجهله بالخير (٣) ، وهكذا أدى عدم التوازن وعدم الشمول فى نظرة أفلاطون للكون والإنسان إلى سمو الجوانب العقلية

(١) أحمد فؤاد الأهواني : القيم الروحية فى الإسلام ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٨٢م ، ص ٦٧
(٢) محمد عبد القادر عبد الغفار : مبادئ علم النفس ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، د. ت ، ص ٣٣٢ .
(٣) محمد لبيب النجيحي : مقدمة فى فلسفة التربية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧م ، ص ٣٥٧ .

والمعنوية على الجوانب الحسية والوجدانية بدرجة متطرفة أدت إلى فصل الشق النظرى عن العملى من ناحية ومن ناحية أخرى أدى انتهاء الأخلاق عنده إلى نوع من الزهد (١)

وبالنظر إلى هذه الفلسفة نجد أن دور الفرد فيها مجرد تقليد للمثال ومحاولة للاقتراب منه ولكن تحقيق هذا المثال يعد فى الواقع أمراً مستحيلاً ، كما أن القيم لدى المثاليين إما مطلقة أو ثابتة ، وبالطبع ليس كل القيم مطلقة وثابتة ولكن منها ما هو ثابت ومنها ما هو متغير بتغير الظروف والأحوال ، ومنها ما هو نسبي يختلف من فرد لأخر ومن مجتمع لآخر (٢).

أما كانت " Kant " فيرى أن مصدر القيم هو العقل الذى يعطي للخبرات الحسية شكلها الخاص الذى تدركه، فالعالم الخارجي لا يتعدى أثره إحداث الاحساسات ، أما التركيب الداخلي للعقل وما يحتويه من مفاهيم ، فهي قبلية أى موجودة فى العقل وجوداً مستقلاً عن الخبرة وسابقة عليها (٣) فالمعرفة الحقة عند " كانت " لابد أن يتوفر فيها الجانب الحسي والعقلي ، أما المعرفة الحسية وحدها فهى معرفة مشتتة ومبعثرة ، والمعرفة العقلية وحدها معرفة جوفاء خالية من أى مضمون ، ومن هنا فإن أفكارنا عن العالم والنفس والله هى معرفة متصلة بعالم الحقائق بالذات الذى لا نعرف عنه شيئاً لعدم خضوعه للجانب الحسي، فهي معرفة حسية فقط ، وهذه المعرفة لا تستند إلى أى تجربة وهى من أجل ذلك معرفة فارغة وليست جديرة بأن تلقب بمعرفة على الإطلاق (٤)

والفعل الإنساني عند " كانت " يخضع للقانون العام بغض النظر عن الدوافع والنتائج والغايات ، سواء أكانت مادية أم معنوية ، فنحن نسلك لمجرد التمسك بالصورة العامة للقانون ، فهي وحدها الصالحة لتكون مبدأ للإرادة (٥) ، ويظهر من آراء " كانت " أن القيم

(١) محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى ، الاسكندرية ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٩٤م ، ص٢٦٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص٢٦٢ .
(٣) نجيب إسكندري وآخرون :قيمنا الاجتماعية وأثرها فى تكوين الشخصية،القاهرة، النهضة المصرية،١٩٦٢،ص ٧.
(٤) يحيي هويدى:دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ، القاهرة ، دار الثقافة والطباعة والنشر،١٩٨١م،ص ١٠٨
(٥) عبد الرحمن بدوى :فلسفة الدين والتربية عند كانط ،بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،١٩٨٠م،ص ١٢

عند المثاليين ثابتة ومطلقة وغير خاضعة لظروف الزمان أو المكان ، وأن العقل هو أساس المعرفة والإدراك ، وقد أخطأ الفلاسفة المثاليون فى تصورهم العام للإنسان بأنه مجرد عقل ومن ثم يكون حكمه على القيم المختلفة صادر عن مجموعة القواعد العقلية الأولية ففى ذلك إغفال واضح لدور الدوافع والغايات والميول فى حياة الإنسان ، كما تخلو نظرتهم من أى وجود لدور الحواس المختلفة فى تحصيل المعرفة والتعرف على العالم الخارجي الذى يعيش فيه الإنسان ، بل تعد الحواس الوسيلة الفعالة فى بعض الأحيان لتحصيل المعارف والمعلومات .

القيم عند الفلسفة الواقعية :

يعد أرسطو مؤسساً للفلسفة الواقعية وهو يشترك مع أفلاطون فى محاولة إيجاد نظام يسير عليه الإنسان على أساس من العقل ، ويكون له غاية نهائية وخير نهائي مطلق ويعد أرسطو أقرب إلى الواقع من أفلاطون حيث يرى أن تحقيق الخير أمراً ليس بالعسير فى دنيانا المعاصرة (١) .

"وتستعمل الواقعية تفسيرات ثنائية للوجود حيث قسمت العالم إلى المادة Materil والشكل Form، فكل الأشياء الموجودة فى الواقع مؤلفة من المادة وهذه المادة تأخذ الأشكال والخصائص المختلفة لكل فئة من الموجودات فالمادة متغيرة ونامية ، أما الأشياء أو الموجودات فهي أمور غير ثابتة على شئ محدد بالذات وإنما على الجنس كله وهذا هو الشكل ، ومن ذلك يدرك الشئ حين انتمائه لمجموعة معينة أو فئة يتم تصنيفها على أساس خصائصها المشتركة (٢) " .

والملاحظ على الفلسفة الواقعية أنها تتصور الوجود مكون من حس وعقل ، إلا أنها لم تهتم بالموجودات فى صورتها الجزئية المتغيرة ، وإنما تؤمن بالحقائق الخالدة

(١) توفيق الطويل : فلسفة الأخلاق ، نشأتها وتطورها ، ط٢ ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٩٧م ، ص ٨٢ .
(2) Allance Ortein & Dqiel u , Lvine : Foundation Of Eduction , Boston , Gou Glten Company , 1981, p. 260 .

الثابتة التى لا تختلف باختلاف الظروف و يتوصل إليها الفرد بالطرق العلمية، والواقع هنا ليس هو الأشياء المتغيرة المدركة عن طريق الحواس ، وإنما هو القوانين العامة التى تحكم العالم المادي ، ومن هنا يتضح التشابه بين الواقعية التى دعا إليها أرسطو والمثالية التى دعا إليها أفلاطون وهى أن كلتيهما تهتم بقضايا ومبادئ عامة هى التى تكون الأساسيات التى يجب أن يسعى إليها الإنسان ويجب أن تستهدفها التربية (١) .

ويتفق الواقعيون والمثاليون فيما بينهم على أن القيم الجوهرية ذات أساس دائم ولكنهم يختلفون فيما بينهم على أسباب هذا الاعتقاد ، فالواقعيون الكلاسيكيون يتفقون مع أرسطو فى وجود قانون خلقى كلي ، مدرك بالعقل يقيدنا جميعاً أو يلزمنا ككائنات عاقلة (٢) .

" يرى الواقعيون التوميسون – نسبة إلى توماس الإكويني – أن الناس يمكن أن يميزوا هذا القانون الخلقي باستخدام العقل ، ولكنهم يلحون على أنه قد أرسيت قوائمه من قبل الله ، الذى منح الإنسان موهبة عظيمة لفهمه " (٣) ، فهناك قانون خلقى علوى للقيم ، فى حين أن الواقعيين العلميين لا يقرون بوجود قانون خلقي علوى للقيم ، وينكرون أن الله هو الذى يوائم الإنسان لبيئته ، وأن الشر هو الذى يجعل الإنسان غريباً عن البيئة وأن القيم هى التى تعمل على التوافق بين الإنسان وبين بيئته الطبيعية دائما .

ويظهر من وجهة نظر الواقعيين العلميين أن القيم موجودة فى الواقع المادي وليست فى العالم العلوى السماوي كما زعم المثاليون ، كما أنهم يرون أن القيم ليست ثابتة ودائمة بل هى متغيرة بتغير الظروف والأحوال فى الواقع المادي ، أما الواقعيون الدينيون فإنهم ينادون بأن الأخلاق الطبيعية لا تكفى لأن الإنسان خلق ليتسامى على الطبيعة

(١) محمد سيف الدين فهمي : النظرية التربوية وأصولها الفلسفية والنفسية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٠ م ص ص ٥٠-٥١ .

(٢)جورج–ف- تيلون:مقدمة فى فلسفة التربية،ترجمة/محمد منير مرسى وآخرون ،القاهرة،عالم الكتب،١٩٨٢م،ص ٧

(٣)محمد منير مرسي : فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها ، ط٣ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٣م ، ص ١٨٥.

ويصل إلى خالقها والغرض الأساسي للتربية الخلقية وفقاً لذلك هو خلاص النفوس وينادي الواقعيون العلميون بأن المبادئ الدينية غير كافية كمصدر للقيم أو للتربية الخلقية لأن الصواب والخطأ مصدر فهمنا للطبيعة ، ويجب الاعتماد على الاستقصاء العلمي فى تحديد ما هو نافع للإنسان من حيث أنه هو أرقي الأنواع الحيوانية (١) .

فالقيم طبقاً لهذه الفلسفة حقيقة موجودة فى عالمنا المادى وليست خيالاً أو تصوراً ، فكل شئ فيه قيمته ، والإنسان يستطيع أن يكتشف القيم باستخدام الأسلوب العلمى والخطوات العملية أى عن طريق استخدام العقل ، فالقيم عندهم مطلقة ولكن يمكن الحصول عليها وتقديرها عن طريق المشاهدة أيضاً ، وهم يرون أننا لوحددنا قيماً بعينها كافية وشاملة وممثلة للناس فإننا نستطيع أن نصل إلى مجموعة من القيم التى ينبغى ألا يخرج عنها الناس وتكون هى القيم المطلقة ، وكل القيم بالتالى قيم اجتماعية تحقق للإنسان سعادة ولذة ومنفعة ومن ثم تحفزه على العمل (٢) ، والسعادة عند الواقعيين هى الخير المرغوب فيه لذاته دون نظر إلى نتائجه أو آثاره، وبالتالى فإن معيار الأخلاق عندهم هو حب الذات وما يحتمل أن يصيب صاحب السلوك أو الفعل من أشكال النفع أو الضرر.

من هنا يمكن القول أن القيم الدائمة تتمثل فى القيم الدينية التى تستمد من الأديان السماوية وهى التى تحدد ما هو نافع للإنسان وما هو ضار ، كما أن الإنسان هو أسمي الكائنات الحية وهو ليس امتداداً للسلالات الحيوانية المختلفة ، فالله خلقه على هذه الهيئة ليكون خليفته فى الأرض ، كما أنه ليس فى كل الأحوال تكون نتائج الاستقصاء العلمي فى صالح الفرد والمجتمع .

---

(١)جورج . ف . تيلون : مرجع سابق ، ص ص ٤٢- ٤٣ .
(٢)المرجع السابق ، نفس الصفحة .

القيم عند الفلسفة الطبيعية :

يُقصد بلفظ " الطبيعة " ذلك العالم الواقعى الذى يعيش فيه المرء ويمارس خبرات ذاتية حية وفقاً لميوله وطبيعة تكوينه دون أية عقبات خلقية كانت أو اجتماعية من شأنها أن تفسد الانسجام بين الإنسان والطبيعة وتقضى على البساطة التى يعيش بها الإنسان فى تواؤم مع الحياة الطبيعية ، وتتأسس هذه الفلسفة على أن الأشياء لا ترتبط بقيم سامية لسر كامن فيها ، وإنما قيم الأشياء هى من نتائج اتصالنا بها وتفاعلنا معها وسعينا إليها وتكوين رغباتنا واتجاهاتنا نحوها (١) حيث يذكر "روسو" رائد الفلسفة الطبيعية أننا لا نسعى إلى شئ ما ولا نتشوق إليه أو نرغب عنه لأننا لا نعتبره حسناً ولكننا نعتبر أن الشئ حسناً لأننا نسعى إليه ونرغب فيه ، فالقيم التى نتطلع إليها ونتمسك بها هى نتاج عادات وسلوكيات كوناها حول الموضوعات والأشياء التى ترتبط عندنا بتلك القيم ، ومن ثم فالقيم على هذا الأساس من نسج الخبرة الإنسانية وجزءً لا يتجزأ من كيانها(٢) .

أما القيم عند الفلاسفة الطبيعيين فتنبت فى حياة المجتمعات البشرية تلقائياً ، وتختلف باختلاف هذه المجتمعات وتتطور بتطورها ، وتكون بالتالى جزئية ونسبية وليست عامة مطلقة ، حيث نزع الفلاسفة الطبيعيون إلى دراستها كما هى موجودة بالفعل ، دون أن يتجاوزوا هذا الواقع إلى وضع قيم إنسانية عليا، وردوها إلى الأوضاع الاجتماعية والظروف الاقتصادية والأحوال النفسية ونحو هذا من أسباب تختلف من مكان إلى مكان بل تتغير فى المجتمع الواحد من عصر إلى عصر(٣) ، " فالفلسفة الطبيعية تعد القيم جزءً لا يتجزأ من الواقع الموضوعى للحياة والخبرة الإنسانية ، فقيم الأشياء هى من نتاج الاتصال

(١) نجيب اسكندر وآخرون : مرجع سابق ، ص٨٣ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) توفيق الطويل : مرجع سابق ، ص٢٣ .

بها والتفاعل معها والسعى إليها ، والقيم بهذا المعنى أحكام يصدرها الإنسان على الأشياء أى أنها أحكام منبثقة من واقع التفاعل معها فى مواقف معينة " (١) .

ولكى يتضح معنى إصدار الأحكام القيمية وانبثاق القيم من واقع الخبرة الإنسانية نتصور ذلك على ضوء مستويات ثلاثة يعيش فيها الفرد فى آن واحد ، فى الواقع وفى الخيال،حيث يرتبط الواقع بالخيال ارتباط الحاضر بالمستقبل فى التطلع إلى المستقبل وهى (٢) .

(١) **المستوى الأول** : وهو الواقع الوجودى Existential الذى يعيش فيه ، والذى يتضمن المشكلة أو المشكلات التى يحاول أن يتخلص منها أو يصل فيها إلى حل ما .

(٢) **المستوى الثاني** : وهو الواقع العوضى Vicarious المرتبط بالرغبة المباشرة أو الميل الشخصي الذى يحققه الاشباع أو الراحة من أقصر الطرق وبأقل مجهود .

(٣) **المستوى الثالث** : وهو واقع عوضى كذلك مثل المستوى الثاني ، ولكنه يرتبط بالمعايير التى اكتسبها الفرد فى خبرات حياته الماضية ، وهى المعايير التى أخذها من الجماعة التى نشأ فيها ثم تعلمها ووعاها نتيجة عمليات الثواب والعقاب والتوحد مع الغير وتكوين الذات ، والمستويات الثلاثة ليست منفصلة بعضها عن بعض ، ومعنى ذلك أن عملية إصدار الحكم عملية قد تتضمن صراعاً بين ما يرغب فيه الإنسان وما ينبغى أن يكون عليه الحال فى نظره أو كسب معاييره الخاصة أو معايير الجماعة التى يتوحد معها ، ولا يتطلب الموقف عملية الاختيار بين المستويين الثاني والثالث بطبيعة الحال إلا عندما يكون هذان المستويان مختلفين ولكنهما قد يلتقيان، ويحدث هذا عندما يلتقى ميل الفرد أو اتجاهه أو رغبته مع اعتقاده فيما ينبغى أن يكون سواء أكان من حيث الحق أم الخير والجمال أم من العناصر الثلاثة جميعاً ، ولكن

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل وآخرون : كيف نربى أطفالنا ، مرجع سابق ، ص٢٢٥ .
(٢) محمد حسين هيكل:جان جاك رسو حياته وكتبه،ط٢،القاهرة،مكتبة النهضة المصرية،١٩٨٥م،ص ص ٣١٢-٣١٥

عندما يحدث الصراع بين المعايير وبين الميل يتوقف سلوك الفرد على أيهما أشد جذباً بالنسبة له .

ولقد تميزت هذه الفلسفة بميزة متفردة وهى القول بخيرية الطبيعة الإنسانية فى تكوينها وفى حريتها وفى تأثرها بالوراثة وفى عزلتها عن الحياة الاجتماعية ، أما الشر فهو عارض عليها وليس أصيل فيها وهو حالة مرضية تعتريها لاحتكاكها بالتقدم العلمى والثقافى.

القيم عند الفلسفة الوجودية :

ترى الوجودية أن الإنسان هو المسئول الأول والأخير عن اختيار القيمة التى سيتبعها فى حياته ، وهو المسئول عن صنع نفسه وصنع عالمه ، ومن الضرورى وفقاً لهذه الفلسفة أن تكون القيم الأخلاقية متنوعة لأنها مسألة فردية شخصية وليست مسألة اجتماعية(١) ، كما يظهر من خلال هذه الفلسفة أن القيم الإنسانية تأخذ اهتماماً أساسياً فالوجودية تعنى بالضرورة إعطاء الإنسان حرية مطلقة فى اختيار القيم الخاصة به والتى يرغب فى أن يحيا طبقاً لها بدون أن يتأثر بأية قيم سابقة قبلية متعلقة بالخير أو بالشر حيث تعد الفلسفة الوجودية ثورة على القيم السابقة أو التقليدية التى يستعملها الإنسان لخداع ذاته بدلاً من مواجهة المعنى الحقيقى لوجوده كإنسان فى عالم ملئ بالبديلات الاختيارية (٢) .

ويرى الوجوديون أن الإنسان هو المسئول عن صنع قيمه وعالمه ، فالقيم فى نظرهم فردية شخصية وليست اجتماعية ، مع إغفال دور المجتمع فى صنع القيم بالرغم من أنه مصدر رئيس من مصادر بناء وتنمية القيم ، والوجودية تدعي أن القيم ليست مطلقة ، كما أنها غير محددة بمعايير خارجية، وإنما تتحدد كل قيمة بالاختيار الحر للفرد ، فالقيم مسألة

(١) نبيه محمد حمودة : الأصول الفلسفية للتربية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م ، ص ٢٤٠ .
(٢) محمد سمير حسانين : التربية أصول وأساسيات ، الأصول الفلسفية والنفسية ، طنطا ، مؤسسة سعيد للطباعة ١٩٨٧م ص ص ٨٧-٨٨ .

فردية شخصية ، ويعد الوجود هو القيمة الرئيسة لكل فرد ، ومن ثم لا ينبغي للإنسان أن يمتثل للقيم الاجتماعية ومعايير مجتمعه لمجرد الامتثال والتهيئة ، لأن الحرية الإنسانية تقتضى أن يقرر الإنسان بحرية ما يلتزم به (١) .

وفى الحقيقة تعد الفلسفة الوجودية فلسفة إنسانية حاولت التركيز على الوجود الإنساني كواقع بشري متطور ، فالإنسان حر ، وله القدرة على الاختيار ، إلا أنه ملزم بهذا الاختيار ، أى أنه مسئول عن اختيار ما يترتب على هذه المسئولية من توتر وقلق بهدف البناء .

القيم عند الفلسفة البراجماتية :

لا ترتكز القيم من وجهة نظر البراجماتية على مطلقات أو حقائق ثابتة ، فالقيمة هى التى تساعد الفرد على تكوين علاقة فعالة مع العالم ، وهى أشكال من الحق ، والحق هو كل ما يثبت أنه صالح لما نعتقد فيه ، وأنه صالح بسبب تقبله ، لذا يجب أن تكون القيم فى حالة من التغير المستمر ، ومن ثم يرى البراجماتيون أن معيار الحقيقة ليس الحكم العقلي وإنما السلوك العملي النافع المترتب عليها ، وهم فى هذا يميزون بين نوعين من الصدق فى القضايا ، صدق قائم على تطابق القضية مع الواقع الخارجي ، وصدق آخر قائم على السعي إلى امتلاك الحقيقة والاستفادة منها عملياً (٢) ، والقيم لديهم نسبية وليست مطلقة ، ولكن هذا لا يعني أن الاتجاه القيمي يجب أن يتذبذب من يوم لآخر ، بل يؤكد أنه لا توجد قاعدة سلوكية يمكن أن تعتبر ملزمة بشكل شامل (٣) .

ويتضح من نظرة البراجماتيين للقيم ، أن معيار أهميتها يرجع إلى ضروريتها ودرجة نفعها للإنسان ، وليس للقيمة أى أهمية فى حد ذاتها ، فالقيمة وسيلة وليست غاية والمقياس الأساسى للقيمة إحراز نتيجة ناجحة تعود على صاحبها بالنفع ، وقد رغب

(١) محمد منير مرسي : مرجع سابق ، ص ١٧٢ .
(٢) سماح رافع محمد : المذاهب الفلسفية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ١٩٨٥ ، ص ص ١١٣-١١٥ .
(٣) صلاح قنصوة : نظرية القيمة فى الفكر المعاصر ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨١ م ص ٢١١ .

البراجماتيون فى تحسين صورة القيم فحاولوا بناء أساس جديد لها يتمشي فى اتساق مع العلوم الجديدة .

القيم عند الماركسية :

انتشر استعمال كلمة الاشتراكية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ومن أهم وأقوى مذاهبها الماركسية نسبة إلى " كارل ماركس " الذى حاول جاهداً تحويل الشكل النظرى للاشتراكية إلى شكل عملي ، عن طريق تحالف كل قوى الطبقات العاملة فى المجتمع مع إرجاع ملكية وسائل الإنتاج إلى الشعب(١) ويؤكد " ماركس " أن العمل هو أساس الحياة المادية ، وإشباع الحاجات الأساسية لأى إنسان مثل المأكل والملبس والمأوى(٢) ، كما أن العلاقات الاجتماعية فى فكر " ماركس " مرتبطة ارتباطاً شديداً بالقوى الإنتاجية ، والأفراد الذين يقيمون علاقاتهم الاجتماعية بما يتفق مع إنتاجهم المادى ، وينشئون المبادئ والأفكار والمعتقدات بما يتفق مع علاقاتهم الاجتماعية ، وهكذا تكون هذه المبادئ والأفكار وقتية وليست أزلية وتعد القيم والأخلاق الدينية والاقتصادية هى الدعامة الأساسية للتنمية ، بل إن تغير القيم والأخلاق من متطلبات أى مجتمع حديث ، كما أن هناك علاقة تبادلية بين القيم والتنمية ، وتمثل القيم قوة معجلة للتنمية(٣) والفلسفة الماركسية لا تعترف بالأديان التى هى من عند الخالق ، لأنها تنكر وجود الله وترى أن المادة أوجدت نفسها (٤) وترفض الماركسية رد القيم إلى الدين ، فهى تفصل القيم عن الدين فصلاً نهائياً . ومما سبق يتضح خطأ هذا المذهب فى العديد من النواحى ، فالقيم ليس لها أى معنى فى حالة انفصالها عن الدين الذى هو من عند الخالق

(١) سماح رافع محمد : مرجع سابق ، ص ٣٨ .
(٢) كمال التابعي : الاتجاهات المعاصرة فى دراسة القيم والتنمية ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ص ٨٧ .
(٣) كمال التابعي : مرجع سابق ، ص ص ١١١-١١٥ .
(٤) توفيق الطويل : مرجع سابق ، ص ٣٠٨ .

ولا معني للأخلاق بدون الدين ، وكذلك الاقتصاد ليس هو العامل الوحيد لبناء وتطور المجتمعات فهناك العمل الديني الأخلاقي والعامل الاجتماعي والسياسي والثقافي وغيره

من خلال تناول مفهوم القيم في الفلسفات المختلفة يتضح ما يلي :

- اتفق المثاليون فيما بينهم على أن القيم الجوهرية ذات أساس دائم وثابت .
- اختلف الواقعيون أنفسهم حول مفهوم القيم وخصائصها ، وحول النافع منها للإنسان فالواقعيون الكلاسيكيون يرون أن العقل هو مصدر القيم وأداتها ، بينما يرى الواقعيون التومسيون أن مصدر القيم هو الله الذى منح الإنسان القدرة على فهم القيم والتمييز بينها ، أما الواقعيون العلميون فيشيرون إلى أن الاستقصاء والبحث العلمى هما مصدرا القيم ، وهما اللذان يحددان ما هو نافع وضار للإنسانية .
- يؤكد الفلاسفة الطبيعيون على أن القيم جزء لا يتجزأ من الواقع الموضوعى للحياة والخبرة الإنسان التى يعيشها الفرد فى المجتمع ، فالقيم نسبية متغيرة وليست مطلقة وهم يرون أن قيم الأشياء من نتاج الاتصال والتفاعل بين الإنسان وبين الأشياء التى يتعامل معها فى مجتمعه ، ويتفقون فى ذلك مع البراجماتيون الذين يرون أن القيم ليست مطلقة وإنما هى نسبية وهى وسيلة وليست غاية والمقياس الأساسى لها إحراز نتيجة ناجحة .
- ترى الماركسية أن المبادئ والقيم تنشأ من خلال التفاعل الاجتماعى والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد بعيدة عن الدين ، وهذه القيم والمبادئ وقتية متغيرة بتغير المواقف الاجتماعية ، فى حين يشير الوجوديون إلى أن القيم تتحدد بالاختيار الحر للفرد فالوجود يعد القيمة الرئيسة للفرد ، ولا ينبغى للفرد أن يمتثل للمواقف الاجتماعية ومعايير المجتمع الذى يعيش فيه لمجرد الامتثال والتبعية ، فالوجودية أغفلت تماماً دور المجتمع وأهميته فى تشكيل سلوك الفرد واتجاهاته .

- وإذا كانت بعض الفلسفات تنظر إلى القيم على أنها مطلقة كما ذكر سابقاً ، والبعض الأخر ينظر إلى القيم على أنها نسبية وأنها لذلك متغيرة بتغير الزمان والمكان ، فإننا نلاحظ عيب هذه الفلسفات فى أنها تركز على جانب واحد من الحياة ، وتقضى فيه بحكم معين تحاول أن تعممه على بقية الجوانب ليتضح مدى القصور الذى يعترى وجهات النظر المختلفة للفلاسفة حول القيم ، ومن هنا تعرض الدراسة نظرة الإسلام للقيم حتى نقف على مدى شمول هذه النظرة واتساعها لكل زمان ومكان .

نظرة الإسلام للقيم :

يري المفكرين المسلمون أن الإنسان ولد على الفطرة ، ولديه الاستعداد لاكتساب كلاً من الخير والشر ، فالتربية التى ينشأ عليها الفرد تكون ثقافته السائدة والتى هى نابعة من التشريعات السماوية ، والإسلام كمنهج حياة يختلف عن بقية الأديان السماوية من حيث نظرته الكلية للطبيعة الإنسانية وفقاً للفطرة التى خلق الله الناس عليها ووفقاً للغاية التى خلقوا من أجلها ووفقاً للآخرة التى سينتقلون إليها (١) فالإسلام جاء لأول مرة فى تاريخ البشرية بنظرة كاملة شاملة لماهية الطبيعة البشرية ، فالإنسان مخلوق عزيز مكرم ، والغاية من وجوده ، غاية نبيلة وسامية تتمثل فى إخلاص العبودية لله،قال تعالي

" وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ "(٢)

كما أن نظرة الإسلام إلى الإنسان نظرة تتكامل فيها كونه جسم وعقل معاً والعقل هو أساس تكوين الضمير الذى يدفع الإنسان الى الخير ويبعده عن الشر ولابد من أن يوازن الإنسان بين مطالب الدين والدنيا ، قال تعالي:

" وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ... " (٣) ،

(١) مقداد يالجن: جوانب التربية الإسلامية الأساسية ، بيروت ، دار الريحاني للطباعة والنشر ، ١٩٨٦م ، ص ١٣ .
(٢) سورة الذاريات : آية (٥٦) .
(٣) سورة القصص : آية (٧٧) .

ومصدر القيم فى الإسلام يتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلي به من الفضائل وأن يتخلي عن الرذائل ، وهى قيم عملية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أعمال وأقوال وتصرفات وهى على نوعين المعاملات والعبادات (١) ، وجدير بالذكر أن القيم الإسلامية قد صاغها خالق الإنسان والكون والحياة ، وفق مجموعة من الخصائص التى من أهمها مناسبتها وملاءمتها لخصائص الطبيعة البشرية ، ومن ثم فهى تتصف بالإنسانية والاجتماعية والواقعية ، وأنها ليست قيما مجردة ، بعيدة عن الواقع والممارسة (٢) ، حيث تهدف التربية الإسلامية إلى بناء مجتمع تسوده مجموعة من القيم والمثل العليا والأخلاق الفاضلة، التى حددها الشرع ، والتى تحرص – أول ما تحرص – على تنشئة إنسان ذى سلوك أخلاقي فاضل ، وفقاً لمجموعة من القيم والمبادئ التى يتضمنها هذا الدين .

وحينما جاء الدين الإسلامي ، أشاع بين جنبات الأرض قيماً جديدة ، وأخذ يدعو إلى اعتناق هذه القيم ، عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة ، وصدق الله العظيم إذ يقول:

" ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ " (٣)

فالقيم الإسلامية كالجوهرة ، صالحة لكل زمان ومكان ، وعلى التربية الإسلامية أن تنفض عنها غبار الأوهام والخرافات ، وتقدمها ناصعة ، وألا تدعو إلى هذه القيم بالمحاكاة والتقليد ، وإنما تحاول التربية الإسلامية أن تفتح العقول التى استحكم إغلاقها واستنامت إلى تفكير الغير وتقليده (٤) وفى هذا الشأن يقول سبحانه :

" بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ " (٥)

---

(١) على خليل أبو العنين : القيم الإسلامية والتربية ، المدينة المنورة ، مكتبة حلبي ، ١٩٨٨ ، ص ص ٦٢-٦٣ .
(٢) محمود السيد سلطان : الأهداف التربوية فى ظل النظرية التربوية فى الإسلام ، القاهرة ، دار الحسام للنشر والطباعة والتوزيع ، ١٩٨١م ، ص٩٢ .
(٣) سورة النحل : ، آية (١٢٥) .
(٤) محمد الصادق عفيفى : الفكر الإسلامي ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٧م ، ص١٥٢ .
(٥) سورة الزخرف : ، آية (٢٢) .

كما يقول سبحانه وتعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام :

" إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ " (١) ،

بما يدل على العجز والقصور الذى يعترى تفكيرهم وعقائدهم ، " فالإسلام دين واحد وثابت فى أصوله وأركانه وشريعته التى هى النهج الذى يسلكه أهله للتدين به والاعتقاد فيه ، إنه ثابت لأنه وضع إلهى وليس ثمرة للفكر البشرى الخاضع لتطور المجتمعات وتبدل الملابسات وتغير الظروف والحضارات "(٢).

ويعد القرآن الكريم الدستور الذى يستند إليه فى اشتقاق القيم ، وفى نفس الوقت تمتلئ السنة النبوية بالعديد من القيم على شتى أنواعها لتقوم بتزويد المجتمع بما يحتاج إليه .

وقيم الإسلام تولى وزنا للجانب المادى وغير المادى فى الحضارة الإنسانية ، وهى قيم إنسانية وواقعية تتحقق فى ظل المعايير والموازين والتصورات المختلفة لينمو الإنسان والمجتمع خلالها نمواً متكاملاً (٣) ، وهذه القيم ماثلة فى أسماء الله الحسنى ، لأن هذه الأسماء هى صفات مطلقة بالنسبة لله سبحانه وتعالى .

فالقيم الإسلامية ثابتة ومرنة فى آن واحد ، فهى كتصورات ثابتة ثبات التصور الإسلامى، ولكنها تركت الحرية للمجتمع لاختيار الممارسات والأفعال حتى يمكن أن تترجم هذه التصورات إلى واقع عملى ، ومن ثم يبدو للقيمة مظهران القيمة كجوهر والقيمة كسلوك، يمتاز الأول بالثبات والثانى بالتغير ، والإسلام غنى بالجوانب المادية وغير المادية فهو يحوى مختلف أنواع القيم الروحية والخلقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية

(١) سورة الأنبياء : الآيات (٥٢ – ٥٤) .
(٢) محمد عمارة : الإسلام والمستقبل ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٤ ، ص٤٢ .
(٣) محمود السيد سلطان : مفاهيم تربوية فى الإسلام ، القاهرة ، ط٢ ، دار المعارف ، ١٩٨١م ، ص٤٤ .

والجمالية والعلمية ، وعلى سبيل المثال فإن الإسلام يحث على غرس قيم الأمانة والصدق والطاعة ، لأنها قيم مرغوب فيها،كذلك يحارب الإسلام بعض العادات السلوكية غير المرغوبة ، مثل الكذب والنفاق وغيرها ، لأنها سلوكيات تهدم بنيان المجتمع ، ومن هنا يتضح مدى اتساع نظرة الإسلام للقيم ومدى تكامل هذه النظرة لتشمل الإنسان فى كل زمان ومكان ، مما يمكن القول معه أن القيم الإسلامية قيم سماوية شرعها الله سبحانه وتعالى وأرسى دعائمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم لا بد أن يجد فيها المسلم أمنه وأمانه وسلامته من كل شئ.

وتعد الفلسفة الإسلامية هى الفلسفة الرائدة التى نظرت إلى جميع القيم – على اختلاف مستوياتها – نظرة عامة شاملة ، فوجدت أن هناك مجموعتين – على الأقل – من القيم منها قيم ثابتة ومستقرة وراسخة كالتدين والصدق والأمانة والوفاء، وقيم متغيرة بتغير أحوال المجتمعات وظروفها كالقيم الكامنة وراء عادات الناس اليومية ،والمتصلة بما يفضلون من طعام أو شراب ، وما يسلكونه من سلوك يومى ، والسبب فى استقرار المجموعة الأولى من القيم ، أنها مبنية على الحاجات العامة للإنسان ، بصرف النظر عن اختلاف البيئات، وعلى الرغم من اختلاف الناس وتباين ظروفهم الاجتماعية ، فإنهم لا شك يتفقون فى بعض الخبرات العامة ، وبناء على هذا الاتفاق أو الاشتراك، فإنهم توصلوا إلى جملة من القيم.

ثانياً : مفهوم القيم لدى علماء الاجتماع :

تناول علماء الاجتماع القيم على أساس أنها ظاهرة اجتماعية تنبع من صميم الحياة الاجتماعية وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، كما أنها تؤدى وظائف معينة بالنسبة لتماسك المجتمعات وإحداث التواؤم المنشود بين الفرد والمحيط الاجتماعي وبين الأفراد وبعضهم البعض (١) .

(١) محمد عبد القادر عبد الغفار : مبادئ علم النفس ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، د . ث ، ص ٣٣٣ .

والقيمة من وجهة نظر علماء الاجتماع تعني " الاعتقاد بأن شيئاً ما ذا قدرة على إشباع رغبة إنسانية ، وهى صفة الشيئ الخارجي نفسه " (١) فالشئ فى ذاته لا يوصف بأنه قيم أو عديم القيمة ، بل الأفراد هم الذين يضفون عليه هذه الصفة أو تلك بحسب احتياجاتهم إليه، فالقيم تمثل لدى علماء الاجتماع ظاهرة اجتماعية ، وهى بمثابة قواعد لضبط سلوك الأفراد وتحقيق الانسجام فى المجتمع ، ويعد المجتمع لدى " دوركايم " هو المشرع الوحيد للقيم ، لأنه محددها وحافظها وهو معيار التقييم الخلقى لها ، بل هو المصدر الرئيسى للقيم ، ولا يمكن أن تقوم للمجتمع قائمة دون خلق القيم والمثل العليا " (٢) .

يتضح من نظرة " دوركايم *Dor Caime* " أن المجتمع هو صانع القيم ومحددها ومصدرها ، وأنه لا وجود ولا كيان للمجتمع بدون القيم ، تلك التى تحدد واجبات الإنسان وحقوقه ، وتضمن الامتثال لمبادئ مجتمعه ونظامه العام (٣) ، فالقيم لديه هى نتاج خبرات اجتماعية وهى تتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية تنظم العلاقات بين الأفراد وهى موجودة فى المجتمع ويختار الفرد منها ما يناسبه، بينما يرى " أدلر " *Adler* أن القيمة هى ما نقوّمه، فالقيم أحكام يصدرها الإنسان على الأشياء (٤) ، ويعرف "كلارنس كيس *Clearance case*" القيم بأنها الأشياء المختارة بواسطة المقوّمين أنفسهم (٥) ويشير "روبرت ميرتون *Robert Mirton*" إلى أن القيم ظاهرة اجتماعية ثقافية تعمل على ربط البناء الاجتماعى وتحقيق الوظائف الاجتماعية ، فهى تقوم بضبط السلوك وتحقيق الامتثال للمجتمع وقواعد نظامه العام (٦) ، ويذهب " فيرتشيلد *Fair Child* " إلى أن القيم هى الشئ المعنوى الإنسانى الذى تضعه الجماعة موضع الاعتبار ويلاقى موافقة عامة

(١) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص ٥٣ .
(٢) محمد أحمد بيومى : علم اجتماع القيمة ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١م ، ص٥٨٢.
(٣) المرجع السابق ، ص٥٨٣ .
(4) Adler , : "The Concept Of Value In Sociology" , American Journal Of Sociology,U.S.A,Alpama University, vol. 62, No.3, 1976, p.262.
(٥) كلارنس كيس نقلا عن فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص٤٣ .
(٦) محمد أحمد بيومى : مرجع السابق ، ص٥٨٣ .

وقد تكون هذه القيم إيجابية وقد تكون سلبية [١] ويشير " راد هكمال ميكرجى *Radhkmal Mekergy* " إلى أن القيم تعبر عن الرغبات والاهتمامات المتفق عليها اجتماعياً ، والتى تمثل منتجات اجتماعية داخل شبكة العلاقات الإنسانية ولا يستطيع الفرد أن يعيش وينمو بدونها[٢] أما"كارل ماركس *Karl Marx*" فيرى أن القيم تعد شكل معين للوعى الاجتماعى الذى يعكس علاقات الناس فى مقولات الخير والشر والعدل والنظام ، وهى تظهر فى شكل مبادئ خلقية وقواعد سلوكية . [٣] ويشير ماركس إلى إمكانية فهم طبيعة العلاقات الإنتاجية فى أى مجتمع بواسطة تحليل الأنساق القيمية السائدة فيه .

وعموماً تعد القيم من وجهة نظر علماء الاجتماع أحكاماً معيارية يصدرها الفرد على ما حوله من أشياء ، وهذه الأحكام نابعة من خلال تفاعله مع المجتمع الذى يعيش فيه ، وهى لازمة لتوجيه هذا الفرد نحو ما ينبغى أن يفعله ، وما لا ينبغى أن يفعله ، والقيم لديهم ظاهرة اجتماعية من نتاج المجتمع وهى حقيقة إنسانية ومعيار لتوجيه السلوك نحو الرغبات المختلفة.

ثالثاً : مفهوم القيم لدى علماء النفس :

يرجع الكثيرين الفضل فى نقل موضوع القيم من الفلسفة إلى علم النفس إلى "سبرانجر *E.Sprang`er*" أحد علماء النفس الألمان ، وقد تنوعت تعريفات القيم فى مجال علم النفس ، حيث ربط بين القيمة والحاجة ، وبين القيمة والاهتمام وبين القيمة والاتجاه وبين القيمة والانفعال ..... وفى هذا الصدد نجد " روكيش *Rokeoch* "[٤] يحدد العلاقة

(١) عبد الهادى محمد الجوهرى : أصول علم الاجتماع ، القاهرة ، دار الكتب ، ١٩٩٩ ، ص٣٠٩ .
(٢) كمال التابعى : مرجع سابق ، ص ص ٢٢-٢٣ .
(٣) شيبتولين : الفلسفة الماركسية اللينينية ، ترجمة / لويس اسكاروس ، القاهرة ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٨١ ص ص ٣٣٩-٣٤٩.
(4) M. Rokeach, : " The Nature Of Human Values And Value System " , In : E.P. Hollander & R.G. Hunt (Eds) Current Perspective In Social Psychology, New York , University Press, 1973, pp. 19-20.

بين القيم والحاجات ، حيث يرى أن القيمة تعبر عن مجموعة المظاهر المعرفية التى تمثل حاجات الفرد والمجتمع بمؤسساته المختلفة ، وعندما يتحدث أى فرد عن قيمه ، فهو لا شك يتحدث عن حاجاته ، فالقيم تمثل الحاجات التى يمكن أن تصبح قيمة ، ولا بد أن يدافع الفرد عنها لأنها مرغوبة ومطلوبة ، أى أن القيمة من وجهة نظر " روكيش *Roheach* " عبارة عن غاية معينة من غايات الوجود الإنسانى .

وترى المؤلفةأن جعل القيمة غاية ليس بصحيح فى كل الأحيان ، فقد تكون القيمة غاية لا تخضع للتقنين أو التشريعات أو مبادئ المجتمع ، وإنما الذى يحرك هذه الغاية الأغراض الشخصية والأهواء الفردية ، وهناك من يرى أن القيم تنتمى إلى مجموعة العوامل المكتسبة فى السلوك الإنسانى ، فالقيم ليست شيئاً فطرياً ، بل يكتسبها الإنسان من خلال احتكاكه بالبيئة التى يعيش فيها ، ويأتى هذا الاحتكاك على هيئة مواقف متناقضة ومتباينة تؤثر على الفرد بطريقة ما ، فيتكون لديه مجموعة من الاتجاهات التى تشكل قيمة فيما بعد(١) ، فى حين ترى دراسة " سعد المغربي ١٩٨٨" (٢) أن القيم عبارة عن مجموعة من الأحكام المعيارية التى يصدرها الفرد على المواقف والأشياء وهى أحكام تقويمية وتفصيلية بناء على المعايير التى تعلمها من الجماعة ، وهذا التعريف أشمل وأعم فى بيان وإيضاح مفهوم القيمة ، فالقيمة حكم يصدر من الفرد بناء على القوانين والمبادئ التى استخلصها الفرد من الجماعة التى يعيش معها .

مما سبق يتبين وجهة النظر التى ترى كون القيمة مكتسبة من البيئة الخارجية التى يولد بها الفرد ويتعايش معها ، ولا بد أن يكون لدى الفرد الاستعداد الذى يسهم فى التمسك بهذه القيمة واستدماجها فى السلوك اليومي له ، بمعنى أن الذى يساعد على

(١)صبرى الدمرداش إبراهيم:توضيح القيم البيئية لدى الطلاب فى التعليم العام،القاهرة،الأنجلو المصرية،١٩٨٥م، ص٣ .

(٢) سعد المغربي:"التنمية والقيم"،مجلة علم النفس،العدد السابع،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨م ،ص٦

اكتساب القيمة الرغبة والاستعداد فى الاحتفاظ بها لكى تصبح معياراً يرجع إليه الفرد فى سلوكه واتجاهاته.

وفيما يلى تتناول الدراسة توضيحاً للعلاقة بين القيم وبعض المفاهيم :

أ- القيم والاتجاهات :

يعد الاتجاه نوع من التنظيم لعدة معتقدات تتعلق بموضوع محسوس أو مجرد أو موقف معين ، وهذا الاتجاه يولد لدى الفرد استعداداً لأن يستجيب لموضوع أو موقف معين بطريقة يفضلها عن غيرها(١)، فالاتجاه يعبر عن استجابة لموضوع أو فكرة أو موقف وهو وحدة تكوين القيمة .

أوجه التشابه بين القيم والاتجاهات :

يذهب البعض إلى أن القيم تعني الاتجاهات أى أنها تعبر عن الاتجاهات فكل منها يشير إلى الآخر(٢). حيث أن كل اتجاه مصحوب بقيمة ، ولا معني لأحدهما دون الآخر ، فالقيمة والاتجاه وجهان لعملة واحدة ، فالاتجاه يمثل قيمة معينة ، وكذلك القيم اتجاهات فى صورتها العامة .

أوجه الاختلاف بين القيم والاتجاهات :

تتمثل الاختلافات بين القيم والاتجاهات كما توصلت إليها بعض الدراسات فيما يلى(٣).

---

(١) أكاديمية البحث العلمي، المجالس النوعية : " القيم فى المجتمعات الريفية والحضرية وعلاقتها بالتنمية "، المؤتمر الرابع لمجلس البحوث للعلوم الاجتماعية والسكانية ، القاهرة ، أبريل ، ١٩٨٨م ، ص ١٦.

(٢) عبد المعبود عبد الرسول : "دور القيم والاتجاهات فى تعبير السلوك الإيجابي "، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة المنيا ، ١٩٩٤م ، ص ٦٧ .

(٣) من هذه الدراسات :

- عبد الرحيم موسى : " اتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل الحر " ، دراسة ميدانية ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة المنيا ، ١٩٩٠م ، ص٧ .
- أمل محمد توفيق : " البث التليفزيوني المباشر وأثره على القيم الاجتماعية لدى الأسرة المصرية "، دراسة ميدانية ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة المنيا ، ٢٠٠١،ص ٨١ .

- القيمة تتعلق بنوع السلوك أو الهدف النهائي ، أما الاتجاه فيتعلق بموضوع أو موقف سلوكي معين .
- القيمة تقود السلوك والأحكام والاتجاهات والتبريرات ، أما الاتجاه يجعل الفرد مستعداً لأن يستجيب لموضوع أو موقف معين بطريقة يفضلها عن غيرها .
- القيمة قد تكون سلبية فى وقت ما وقد تتحول إلى إيجابية فى وقت آخر ، أما بالنسبة للاتجاه فالناس لا يستطيعون أن يغيروا اتجاهاتهم بالسرعة التى يغير بها المجتمع قيمه .

وبعد فأياً كان الاختلاف بين القيم والاتجاهات فإن الاتفاق الواضح بينهما على مدى تأثيرهما فى السلوك الإنساني حيال المواقف المختلفة وفى مدى خلق استجابة لدى الإنسان للتواؤم مع هذه المواقف .

ب- القيم والعادات :

تمثل العادات مضمون السلوك وجوهره ، فهي الشكل المادي للسلوك الاجتماعي ومع ذلك تعد العادات والقيم مظهران لشئ واحد وهو السلوك الجمعى ، أما القيم فهي موجهه للسلوك وتمثل عنصراً أساسياً من عناصر الثقافة اللامادية ، لأنها تعد من أهم العوامل التى تحدد سمات الشخصية العامة فى المجتمع ، والعادات أنماط سلوكية متكررة أو نماذج للاستجابات المكتسبة التى يكررها الأفراد فى مواقف محددة ، وهى تشير إلى الأساليب المعترف بها فى التفكير أو العمل (١) .

مما سبق يتضح مدى التكامل الذى يوجد بين القيم والعادات ، فالعادات تمثل أنماطاً سلوكية متكررة، والقيم هي الموجه الرئيسى لهذه الأنماط .

(١) عبد الهادى الجوهرى : معجم علم الاجتماع ، ط٢ ، القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ١٥ .

جـ – القيم والمعتقدات :

تعبر المعتقدات عن الأفكار والعلاقات التى يؤمن بها الفرد إيماناً راسخاً لا يشك فى درجة صحته(١)، أما القيم فهى أكثر خصوصية من المعتقدات لأنها المسئولة عن الأحكام التى يصدرها الإنسان على موضوع أو موقف معين(٢)، وتشكل المعتقدات الأفكار التى يؤمن بها الإنسان والتى تصوغ مبادئه واتجاهاته وتحدد ما يتبناه فى سلوكه من قيم يمضى عليها فى حياته .

د القيم والدوافع :

يعد الدافع حالة شعورية توجه الكائن الحي نحو هدف معين ، فهو بمثابة حالة من التوتر والاستعداد الداخلي يسهم فى توجيه السلوك ، فالدافع يعبرعن مضمون معنوي للسلوك يكمن خلفه ليوجهه ويعطيه معني خاص ، أما القيم فهي تعبر عن التصور القائم خلف هذا الدافع أى أن القيم منبع الدوافع(٣) .

ومن ثم يتضح مدى أهمية وجود قيمة ما وراء كل دافع ، فالقيمة تعد بؤرة أساسية لتكوين الدافع، ومحركاً له فى الوجهة التى تتفق مع نوع القيمة سلبية أو إيجابية

هـ القيم والحاجات :

يقصد بالحاجة إحساس الفرد بافتقاد شئ ما ، وقد تكون داخلية أو خارجية ينشأ عنها بواعث معينة ، ترتبط بموضوع الهدف أو الحافز ، وتؤدى الاستجابة لموضوع الهدف إلى خفض الحافز ، أما القيمة فهي مفهوم مكافئ لمفهوم الحاجة حيث أن لها أساس بيولوجي يقوم على الحاجات الأصلية، وهى تلك القيم الأولية ، وهناك القيم

(١) مصطفي عمر : " الثقافة العربية " ، مجلة الوحدة ، العدد ٣٠ ،القاهرة ، ١٩٨٧ م ص ٩ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٣) عبد المعبود عبد الرسول : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

الثانوية التى تتعلق بالجوانب الأخلاقية والاجتماعية [١] ، أى أن القيم تنشأ من وجود حاجات معينة ويتولد عنها حاجات أخرى متباينة ومختلفة .

و- القيم والاهتمامات والميول :

يعبر عن الاهتمامات والميول بالنشاط الذى يقوم به الفرد من تلقاء نفسه لممارسة شئ معين ، دون فرض من الآخرين ، ليشعر الفرد بالسعادة عند ممارسته له [٢] ، من أمثلة الميول والاهتمامات ممارسة الغناء والتمثيل والرسم و الاستماع للموسيقي والغناء والفنون الجميلة وغيرها ، وبهذا المعني فإن القيم أعم وأشمل من الميول والاهتمامات .

مما سبق تتضح العلاقة بين القيم والاتجاهات وبين القيم والعادات والمعتقدات وكذلك بين القيم وبين الحاجات والدوافع والميول والاهتمامات ، تلك العلاقة التى توضح ما عليه القيم من شمولية واتساع للاتجاهات التى تحدد الاستجابات التى تصدر عن الفرد تجاه موضوع معين ، وعموميتها للعادات التى تشكل أنماطاً سلوكية متكررة فى حياة الإنسان وتنشأ القيم من وجود حاجات معينة ويتولد عنها حاجات أخرى ، والقيم تحفز الفرد لممارسة الميول والاهتمامات المختلفة التى تشعره بالسعادة والبهجة ، كما تقف القيم خلف المعتقدات التى يدين بها الأفراد وتشكلها وتنظم العمل وفقاً لها ، ولا يمكن إغفال دور القيم فى توليد الدافع الذى يوجه الفرد نحو هدف معين .

رابعاً : مفهوم القيم لدى علماء التربية :

تنظر التربية للقيم على أنها كل صفة ذات أهمية لاعتبارات نفسية أو اجتماعية أو جمالية وتتسم بصفة الجماعة فى الاستخدام ، والقيم عامة هى موجهات للسلوك أو العمل ، ومعنى ذلك أن مجموعة القيم التى يدين بها شخص من الأشخاص هى التى تحركه نحو العمل وتدفعه إلى السلوك بطريقة خاصة ، ويتخذها مرجعاً فى الحكم على

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٢) رشدى طعيمة : تحليل المحتوى فى العلوم الإنسانية – مفهومه – أسسه – استخداماته ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٤م ، ص ص ٩٧-٩٨ .

سلوكه بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه ، ولا شك أن أثر ذلك يعود على المجتمع خيراً أو شراً طبقاً لنمط السلوك وكيفية المرجع القيمى له(١) .

وباعتبار القيم موضع اهتمام التربية ، فهذا يتفق مع شعور المجتمع الذى هو بحاجة إلى هذه القيم لحفظ وحدته وتماسكه ، وخاصة فى وقت تعرضت فيه أنظمة القيم المجتمعية للتفتت والانحسار ، فأصبحت هناك حاجة ملحة إلى قواعد جديدة تحمى السلوك الإنساني من الإنحراف والوقوع فى هوة الخطأ الزلل ، كما اعتبر بعض العلماء القيم مصدراً أساسياً لأهداف التربية ، إذ أن هناك علاقة واضحة بين القيم وأهداف التربية ، وذلك لأن أى أهداف تربوية ليست فى النهاية إلا تعبيراً عن أحكام قيمية سواء أكان هذا التعبير عن وعى أم عن غير وعى(٢) .

وتشير "دراسة إلهام عبد الحميد ١٩٩٠" (٣) إلى مفهوم القيم من المنظور التربوى بأنه يصبح على عاتق التربية مسئولية إعداد المواطن العصرى ، من خلال تزويده بالمفاهيم والمعارف ، التى تساهم فى تنمية الاتجاهات الإيجابية لديه ، ويكسبه الرؤية الشاملة للعالم المعاصر بمشاكله وتحدياته وتطوراته العلمية والتكنولوجية .

فالقيم التربوية تعد أساساً يبنى عليه أى تخطيط أو برامج أو مشروعات أوأنشطة تستهدف إعداد الطفل وزيادة معرفته ومعلوماته ، واكتشاف قدراته وإمكانياته وإشباع حاجاته وهواياته بطرق ووسائل ملائمة لمواجهة فضوله وطموحاته بما يتلاءم مع أوضاع الفرد وبيئته ومجتمعه وفى حدود الإمكانات المادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع (٤)

---

(١) حنان عبد الحميد العنانى : تخطيط برامج تربية الطفل وتطويرها ، عمان ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، ١٩٩٩ ص ص ٦٠-٦١ .

(٢) مصطفى المسلمانى : " التشريع وحماية القيم التربوية فى ثقافة الطفل " ، الحلقة الدراسية الإقليمية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧ ، ص ص ٦٧-٦٨ .

(٣) إلهام عبد الحميد :" التوجيهات القيمية لمناهج التربية الوطنية فى المرحلة الثانوية " المؤتمر العلمى الخامس نحو تعليم ثانوي أفضل ، ج٢ ، القاهرة ، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، من ٢-٥ أغسطس ١٩٩٣ ، ص٤٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص٦٨ .

ومن هنا فإن قصر الاهتمام على الجانب المعرفى للطفل والتركيز عليه يحشد المزيد من المعلومات والمعارف ، إنما يتم فى غياب المناخ القيمى التربوى الذى ينبغى التأكيد عليه من خلال المنهج بمفهومه الشامل المتكامل ، وبما يتضمنه من معارف واتجاهات ومفاهيم ومهارات ، والقيم التربوية هى التى تعالج جوانب النمو الإنساني المتكامل بغض النظر عن المسميات المختلفة فيما بينها ، سواء أكانت قيماً اجتماعية أم جسمية أم نفسية أم عقلية أم روحية أم خلقية أم جمالية .

- وقد وردت عدة تعريفات للقيمة التربوية من وجهة نظر علماء التربية منها :

يرى " جون ديوى " أن القيمة لفظ يدل على موقف الاعتزاز بشئ ما دون غيره على اعتبار أنه ثمين ونفيس من أجل ذاته ، والقيمة تعنى التقويم ، بمعنى أنها عمل عقلى مميز قوامه المقارنة والحكم ، وهى ترتبط بالهوى والميل والرغبة(١) ، ومن ثم تستخدم القيمة كمعيار للحكم على الأشياء ، وعن طريقها يمكن تحديد جوانب القوة والضعف فى العملية التعليمية لتدعيم الجوانب الإيجابية ، والتخلص من الجوانب السلبية .

أما " محمد إبراهيم كاظم " (٢) فيرى أن القيمة مقياس أو مستوى أو معيار نستهدفه فى سلوكنا ونسلم بأنه مرغوب فيه أو مرغوب عنه ، وعلى ضوء هذا المقياس يتحدد الاتجاه الصحيح من الاتجاه الخاطئ فى السلوك ، كما يشير إلى أن القيمة تعبر عن مجموعة من الأهداف والمثل العليا التى توجه الإنسان فى علاقته بالعالم المادى أو الاجتماعى أو السماوى.

بينما يرى " إبراهيم الشافعى " (٣) أن القيم مجموعة من المعايير التى تتخذ كميزان للأعمال والحكم على التصرفات المختلفة للإنسان .

---

(١) رالف – ن – وين : قاموس جون ديوى للتربية ، مختارات من مؤلفاته ، ترجمة /محمد العريان ، القاهرة، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٤ ، ص١٩ .

(٢) محمد ابراهيم كاظم : تطورات فى قيم الطلبة ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، د.ت ، ص١٤ .

(٣) إبراهيم الشافعى : الاشتراكية العربية كفلسفة للتربية ، ط٤ ، القاهرة ، دار النهضة المصرية ، ١٩٩١ ، ص٣٧٥

مما سبق يتضح أن مفهوم القيم التربوية مفهوم واسع يتحدد على ضوئه مدى أهمية هذه القيم فى حياة كل فرد ، فهى الموجه لسلوكه نحو الالتزام بكل ما هو إيجابي والابتعاد عن كل سلبى فى الأفعال والأقوال وسائر التصرفات ، وتنمو هذه القيم لدى الفرد لتصبح فيما بعد الميزان الذى يتخذه للحكم على ما يعترضه من أمور وما يستجد فى بيئته من متغيرات .

وفيما يلى تتناول الدراسة أهمية القيم من الناحية التربوية .

٢- الأهمية التربوية للقيم :

تتركز الأهمية التربوية للقيم فيما يلى :

- تحديد الأهداف التربوية التى نصبو إلى بلوغها ، حيث تستخدم القيم كموجهات للتقدم والتنمية ، فالتربية تتضمن اختياراً لاتجاه معين يتعلق بلا شك تعلقاً جذرياً بالقيم ، وهذا الاتجاه يحدد الأهداف التربوية المطلوبة فى المجتمع .
- تساعد على التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها مؤسسات التربية المختلفة حيث يتشرب الأفراد من خلال هذه المؤسسات النسق القيمى السائد والأحكام المعيارية لسلوك الأفراد (١) .
- تكشف القيم عن النماذج البارزة التى تناهض حركة التقدم والتطوير فى المجتمع والتى تكبل طاقات أفراده عن العمل والنشاط .
- تحديد المداخل التربوية لتكوين الاتجاهات المرغوبة حيث تساعد الإنسان على المشاركة الفعالة فى حركة التنمية والتطور .
- تتصل القيم بالأهداف التربوية التى تسعى التربية لغرسها لدى الناشئة فتكوين القيم لدى الأفراد لا يقل أهمية عن تزويد الفرد بالمعلومات والأفكار لأن القيم طاقات للعمل ودوافع للنشاط (٢) .

---

(١) ضياء زاهر : القيم فى العملية التربوية ، القاهرة ، مؤسسة الخليج ،١٩٨٤، ص٦٠ .
(٢) ابراهيم الشافعى : مرجع سابق ، ص٣٢٧ .

وإذا كان للقيم أهميتها التربوية منذ بداية الأزمنة والعصور فإن الحاجة الملحة لتأكيد هذه القيم فى مجال التربية فى هذه الآونة يرجع إلى وجود عدة عوامل تحتم على التربية دراسة القيم منها :

- ما أحدثته الثورة العلمية والتكنولوجية وغيرها من عوامل التغيير الثقافى وإعادة تشكيل الكثير من المعارف والمفاهيم مما أدى إلى التذبذب وعدم الاستقرار فى القيم الموروثة والمكتسبة وبالتالى عدم مقدرة عدد كبير من النشء والشباب على التمييز الواضح بين ما هو صواب وما هو خطأ ، وعدم القدرة على الانتقاء والاختيار بين القيم المتصارعة ، وقد سبب هذا أزمة قيمية لها أثرها فى دفع الشباب إلى ثورتهم على قيم المجتمع واغترابهم عنها (١) .
- اتجاه المجتمع العربى والمصرى إلى محاولة التطوير والتحديث والتخلص من المعوقات الداخلية والخارجية التى تفرض عليه معالم التخلف والتأخر عن ركب التقدم والتطور المستمر ، عن طريق الأخذ بخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مما يتطلب البحث الجاد عن أسباب إعاقة التنمية ، وبخاصة العوامل القيمية المعوقة لحركة تقدم الفكر الإنساني (٢) ، ومن ثم التخلص من هذه الأسباب وإحلال مكانها قيم تسهم فى التنمية والتقدم .

وفيما يلي تتناول الدراسة أهمية القيم لطفل ما قبل المدرسة .

٣ـ أهمية القيم لطفل ما قبل المدرسة :

لما كانت القيم هى سياج العلم والحضارة ، والحصن الذي يحتمى به المجتمع ضد تيارات الهدم والفناء ، فإن حاجة الإنسان إلى القيم عامة ، وإلى القيم الدينية والخلقية والروحية من أهم عوامل توفير الأمن والاستقرار النفسي له ، ومساعدته على تحقيق مرضاة

(١) صالح ذياب ، هشام عامر : أسس التربية ، الأردن ، دار الفكر ، ١٩٩٩ ، ص١٢٨ .
(٢) ضياء زاهر : مرجع سابق ، ص٩ .

الله سبحانه وتعالي وإرضاء ضمير الإنساني (١) ، ويتعرض أطفالنا اليوم إلى نوع من التضارب بل والتعارض أحياناً فيما يمرون به فى تنشئتهم وتربيتهم من قيمٍ تشكل فى مجملها نسقاً غير مترابط ، يحمل فى طياته عوامل هدمه وعدم قدرته على الصمود فى وجه التحديات المتلاحقة ، والمشكلة التى قد تفسد المنظومة القيمية لأطفالنا اليوم تتمثل فى تبني كل طرف من مؤسسات المجتمع قيماً خاصة به ، ربما تناقضت فيما بينها ، والأخطر من ذلك أنها ربما تناقضت مع المنظومات القيمية للأطراف الأخرى ، ومن ثم يكون التمزق والاضطراب والتخبط فى سلوك الأبناء الصغار.

وإذا كانت مرحلة طفل ما قبل المدرسة مرحلة هامة فى حياة أى إنسان ، فهى قنطرة يعبرها بين حياة الأسرة والمدرسة ليتكيف مع عالم جديد متغير له خصائصه ومطالبه ، وهى بداية التنمية البشرية لكونها مجالاً خصباً لغرس وتنمية العادات والاتجاهات الإيجابية ، يصبح الإعداد القيمى للطفل فى هذه المرحلة من أهم جوانب إعداده ، وتزداد أهمية تنمية القيم فى هذه المرحلة لما يلى :

- تعد السنوات الأولى من حياة الطفل ذات أهمية عظمى فى تعديل نشئته وتشكيل شخصيته لأن الطفل خلالها يتقبل أمور الدين دون مناقشة لها أو طلب دليل لإثباتها ومن ثم تعد التنشئة الدينية فى هذه المرحلة أسمى أنواع التنشئة وأجزلها عطاءً ونفعاً للفرد والمجتمع . (٢)
- يؤكد الدين قيمة العمل واحترامه وأهمية تأدية الواجب وتحمل المسئولية ، ويجب أن ينمو ذلك عن طريق الممارسة منذ بواكير الطفولة . (٣)

---

(١) عبد التواب إبراهيم رضوان : " الإسلام والبناء الروحي والعقلي للإنسان " ، من سلسلة قضايا إسلامية ، تصدر عن وزارة الأوقاف بالمجلس الأعلي للشئون الإسلامية،القاهرة ، ٢٠٠٦، ص ص ٩٢-٩٣

(٢) عواطف إبراهيم محمد : وحدة لتنمية الشعور الديني لدى الأطفال ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٢ ، ص٥١

(٣) سعد مرسى أحمد و كوثر حسين كوجك :تربية الطفل قبل المدرسة ، ط٣ ، القاهرة ،عالم الكتب، ١٩٩٨، ص٢٠.

- أصبح الاهتمام بأطفال هذه المرحلة وقضاياهم ومشاكلهم هو العنصر الأساسى فى أى حوار عن مستقبل الإنسان وتقدمه ، ويمكن الحكم على مستقبل أى مجتمع من خلال ما يُهيئ لأطفاله فى مرحلة ما قبل المدرسة من إمكانيات وما يوليه لهم من عناية ورعاية واهتمام .
- تعد التربية فى مرحلة ما قبل المدرسة قوى أساسية وهائلة فى بناء المجتمع وتقدمه.(١)
- توضع خلال هذه المرحلة اللبنة الأساسية لبناء شخصية الطفل وتكوين سلوكه الإنسانى الذى يميزه عن غيره من الكائنات ، ليكتسب الطفل المرونة والقابلية للتعليم والأخذ به ، فعقل الطفل خلال هذه المرحلة صفحة بيضاء يمكن أن ننقش عليها ما نريده (٢) .
- إن تنشئة طفل ما قبل المدرسة على قيم واتجاهات ومبادئ معينة لكفيلة بأن يشب وقد ارتبط بهذه القيم والاتجاهات والمبادئ لتصبح سلوكاً واقعياً فى حياته . (٣)

ولعل ما يشير إلى فساد البناء القيمي لدى الأطفال الإهمال الواضح للقيم النبيلة وشيوع العديد من القيم والاتجاهات السلوكية غير المرغوبة ، وغير ذلك من المؤشرات التى تفصح بجلاء عن التباين فى مضامين التربية التى تمارسها المؤسسات المجتمعية المختلفة والتى تسهم بأقدار متفاوتة ، فى عملية البناء القيمي للأطفال (٤) ، ومن أهم مقومات نجاح منهج تربية طفل ما قبل المدرسة هو التطابق بين أفعال الكبار وأقوالهم وبين قيمهم وسلوكياتهم التى تصدر أمام الأطفال ، فالطفل الصغير حساس بطبيعته ، ويدرك بعمق

---

(١) المرجع السابق ، ص١٩ .
(٢) هدى قناوى : مرجع سابق ، ص٢٣ .
(٣) سعدية محمد بهادر : برامج تربية طفل ما قبل المدرسة بين النظرية والتطبيق ، مرجع سابق ، ص١٣١ .
(٤) عبد الفتاح إبراهيم تركي : " أطفالنا كيف نحسن تربيتهم " ، مجلة رعاية وتنمية الطفولة ، دورية علمية متخصصة ومحكمة ، تصدر عن مركز رعاية وتنمية الطفولة ، كلية التربية ، جامعة المنصورة ، العدد ٣ ، المجلد ١ ، السنة الثالثة ، ٢٠٠٥ ، ص ٤٠١ .

ذلك التباين بين القول والفعل ، وأن ما يستقر فى وجدانه هو ما يصدر دائماً بجانب أفعال الكبار الذين يمثلون القدوة الحسنة والتى تجعله يتشرب القيم دون عناء ، ويسلك بشكل سليم وتلقائي.

٤ـ طرق تكوين القيم لدى الطفل :

تنتمي القيم إلى مجموعة العوامل المكتسبة فى السلوك الإنساني ، فالفرد منا لا يولد مزوداً بأى اتجاه أو أية قيمة إزاء أى موضوع خارجي ، فالطفل يتعلم المبادئ الأخلاقية منذ السنوات الأولي من حياته، من خلال امتصاصه القيم والاتجاهات المختلفة للمحيطين به بواسطة التقليد والإيحاء من الآباء والأمهات والمخالطين له عامة ، والخير فى نظر الطفل الصغير عبارة عن الأشياء التى يصرح له القيام بها ، أما الشر فهو الأعمال التى لا ترضي الكبار ، وعلى وجه الخصوص التى لا ترضي أمه ، فالأمانة فى نظر الصغير هى أن تعمل ما تنصحه به أمه ، حيث يتقبل الطفل فى مراحل نموه الأولي القيم الخلقية من الكبار دون مناقشة أو فحص أو نقد أو تمحيص ، أى يقبلها عن طيب خاطر ، وعندما يتقدم فى السن يأخذ فى مناقشة هذه القيم فلا يتقبل المواعظ أو الإرشادات قبولاً مطلقاً دون تفكير فيها ، وعندما يصل إلى مشارف المراهقة مثلاً فإنه يتناول مبادئه ومبادئ الكبار بل وسلوك الوالدين بالنقد ، بل ويفكر فى قيم المجتمع وفى فحواها ومعناها والحكمة من ورائها[١] ومما يسهم فى تكوين القيم النمو الخلقي الذي يبدأ مع مراحل الطفولة المبكرة من خلال أساليب مختلفة يتحرى بها الطفل سلوكيات من حوله ليحاكيها ويتقلدها فى سلوكه ، وعندما يتقدم الطفل فى العمر يناقش ما يصدر تجاهه من أوامر وأحكام ومواعظ وإرشادات ثم سرعان ما ينتقد هذه الأوامر وتلك المواعظ والإرشادات فى المراحل اللاحقة .

(١) عبد الرحمن محمد عيسوى : دراسات فى علم النفس الاجتماعي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ ، ص ص ٤١٧-٤١٨ .

و تتعدد الطرق التى تستخدم لغرس القيم وتنميتها لدى الأطفال ومنها : (١)

أ- طريقة غرس القيم *Values Inculcating* .

تهدف هذه الطريقة إلى غرس القيم المرغوبة للفرد واتخاذها هادياً للسلوك ، وهى تمر بمرحلتين هما تحديد القيم المرغوبة ، ثم تعزيزها ، وتعد القدوة الحسنة والتعزيز الإيجابي أو النمذجة والتقليد ولعب الأدوار من أهم أساليب غرس القيم لدى الطفل وخاصة فى المراحل المبكرة من عمره .

ب- طريقة توضيح القيم *Values Appearance* .

تهدف هذه الطريقة إلى توضيح القيم من خلال مساعدة الأطفال على توضيح قيمهم الشخصية فى جو من الحرية فى التعبير عن الرأي ويمكن استخدام لعب الأدوار وفحص القيم أو أسلوب المجموعات الصغيرة والمناقشة .

جـ- طريقة المحاكمة العقلية الأخلاقية *Moral Reasoning* .

تهدف هذه الطريقة إلى مساعدة الأطفال على طرح قضايا تحتوى على العديد من القيم التى تثير اهتمامهم وتدفعهم للتفكير ، ومناقشة هذه القضايا ، والوصول إلى قراءات نافعة عن قناعة تدفع الطفل إلى تبني ما يكتسبه من قيم جديرة .

د- طريقة تحليل القيم *Value Analysis* .

يتم التركيز فى هذه الطريقة على التحليل من خلال عرض سؤال قيمي بشكل دقيق وعدم الاعتماد على اتخاذ موقف أو تأثير رأي ثم تبرير ذلك الرأي .

ويتتبع الطرق السابقة لتكوين القيم لدى الطفل ترى الدراسة ضرورة غرس وتنمية القيم والاتجاهات السلوكية ذات الطابع الدينى الخلقى كأساس لتنمية باقى القيم فى

(١) نادية يوسف كمال : التربية الأخلاقية للطفل فى الحلقة الأولى من مرحلة التعليم الأساسى ، المؤتمر السنوى الأول للطفل المصرى تنشئته ورعايته،المجلد الثانى،القاهرة ،من ١٩-٢٢ مارس ١٩٩٨،ص ص ٢٠٨-٢٠٩ .

مرحلة ما قبل المدرسة والتى هى مرحلة حيوية وحساسة فى نموه ، فالقيم الدينية الخلقية التى يجب تنميتها لدى طفل هذه المرحلة هى قيم الإيمان بالله والحرص على طاعته وبر الوالدين والإحسان إليهما وتعويده الأمانة والصدق قولاً وعملاً بالأساليب التربوية المناسبة

ولأهمية مرحلة ما قبل المدرسة تبرز الدراسة جوانب النمو المختلفة خلالها وعلاقتها بنمو القيم .

٥- جوانب نمو طفل ما قبل المدرسة :

تمثل مرحلة طفل ما قبل المدرسة واحدة من أهم وأخطر مراحل النمو الإنسانى على الإطلاق ، لا لأن ما يتم تعليمه للطفل من معارف وخبرات خلالها ليس عرضة للنسيان بل أيضاً لأنه خلال هذه المرحلة تنمو قدرات الطفل وتتفتح مواهبه، ويكون أكثر قابلية للتأثر والتوجيه والتشكيل .

وقد أشارت العديد من البحوث والدراسات التربوية والنفسية إلى خطورة هذه المرحلة وأهميتها فى بناء الإنسان وتكوين شخصيته ، وتحديد اتجاهاته فى المستقبل(١) فطفل هذه المرحلة يكتسب مجموعة من العادات والتقاليد والمعلومات الاجتماعية والأخلاقية والدينية بالإضافة إلى القيم المختلفة ، التى تؤثر فيه طيلة حياته ، يساعد على ذلك ما يتمتع به طفل هذه المرحلة من قدرة على طرح التساؤلات ورغبة فى الاستكشاف والبحث والمغامرة ، كما تعد هذه المرحلة مرحلة تكوينية يتم خلالها كافة أنواع النمو الجسمي والعقلى واللغوى والانفعالي والاجتماعي ، ويتميز النمو خلالها بالسرعة فى شتى الأبعاد ، كما يمتاز الطفل فى هذه المرحلة بالنشاط الجسمي الزائد والرغبة الدائمة فى الحركة مع الاستمتاع بالحركة لذاتها(٢) وتنمو وتتزايد مهارات الطفل فى استخدام

(١) عبد الخالق عفيفى : رؤية الخدمة الاجتماعية فى رعاية الأسرة والطفل ، القاهرة ، مكتبة عين شمس ، د.ت ص٣١٥.

(٢) عادل عز الدين الأشول : علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٦م ، ص٣٦٠ .

الرموز لكى يعبر من خلالها عن المواقف والأحداث التى تواجهه[١] فطفل هذه المرحلة أقدر ما يكون على امتصاص عادات وتقاليد المحيطين به وأكثر قدرة على التجاوب معهم ونقل قيمهم ومفاهيمهم ، وبالرغم من كون طفل ما قبل المدرسة متمركزاً حول ذاته فى أغلب الأحيان ، إلا أنه قادر على التفاعل والتعامل مع بيئته المحيطة التى تضم الأسرة وجماعة الرفاق بشكل جيد، حيث يرتبط الطفل فى نهاية هذه المرحلة انفعالياً بالمحيطين ويميز بين الصواب والخطأ ، يرجع ذلك إلى أن ٥٠٪ من المكتسبات العقلية المتوفرة للمراهق فى السنة السابعة عشر من عمره تبنى فى سنوات عمره الأربع الأولى ، كذلك فإن ٣٠٪ من هذه المكتسبات تظهر فيما بين الرابعة والخامسة [٢] ، الأمر الذى يمكن أن ندرك معه أن السمات الرئيسية للشخصية ترجع فى تكوينها وأصولها إلى هذه المرحلة الهامة من حياة أى إنسان ، لذا فإن إتاحة الفرصة الملائمة للنمو المتكامل خلال هذه المرحلة يعتبر على جانب كبير من الأهمية، من هنا تعرض الدراسة لجوانب النمو المختلفة فى هذه المرحلة وعلاقة هذه الجوانب بنمو القيم لدى طفل ما قبل المدرسة .

أ- النمو الجسمي :

من الخصائص الجسمية المميزة للطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة ، نمو الرأس بشكل تدريجي بطئ مع نمو الأطراف بشكل سريع ، بينما يكون نمو الجذع متوسط ، مع استمرار الزيادة فى الوزن والطول بصورة أسرع مما يكون عليه الطفل فى مرحلة الطفولة المتوسطة ، وفى سن الثالثة يصل طول الطفل إلى ثلث طول الراشد تقريباً وعند سن الخامسة يكون متوسط طوله ما بين ٤٠ – ٤٢ بوصة[٣] ، ومن خلال تلك المرحلة نجد أن جسم الطفل يزداد نضجاً ، وحين يصل الطفل إلى تمام عامه السادس تكون نسب جسمه

(1) David v. Shuffer : Development psychology childhood and Adolescence , Third Edition, California, Pacific Grove, 1993, P.245.

(٢) عادل عز الدين الأشول : مرجع سابق ، ص٢٦٩ .

(٣) سعدية بهادر : فى علم نفس النمو ، ط٩ ، القاهرة ، مكتبة المدنى ، ١٩٩٤م ، ص٢١ .

أشبه بنسب جسم الراشد[١]، كما نجد ملامح وجهه قد كادت تشرف على نهاية مرحلة التغير، وكذلك نجد أن العضلات الغليظة أكثر نمواً وأرقى تطوراً من العضلات الدقيقة الصغيرة، كما أن التنفس خلال هذه المرحلة يصبح أكثر عمقاً، وتصبح نبضات القلب أقل تغيراً ويزداد ضغط الدم ازدياداً ثابتاً[٢]. كما نلاحظ ازدياد معدل الطول عن معدل الوزن لدى الجنسين فى هذه المرحلة، فمتوسط طول الطفل فى بداية العام الثالث يصل إلى ٨٤سم تقريباً لكل من الذكور والإناث، بينما يصل الطفل فى نهاية العام الخامس من عمره إلى حوالى ١٠٨سم تقريباً، وفى نهاية هذه المرحلة يكون متوسط وزن الطفل حوالى١٨كجم.[٣]

ومن أهم حاجات النمو الجسمي لطفل ما قبل المدرسة، الحاجة للطعام والشراب والتى تعتبر من الحاجات الفسيولوجية الأكثر إلحاحاً فى هذه المرحلة لنمو الجسم وإكسابه العادات والسلوكيات المناسبة، كما يعد إشباع هذه الحاجة مهماً لتحقيق الصحة النفسية للطفل بشكل عام ولطفل ما قبل المدرسة بشكل خاص.

- النمو الجسمي واكتساب القيم :

نلاحظ أن هناك تفاعلاً ما، يتم بين السلوك والنمو الجسمي لطفل ما قبل المدرسة، حيث يؤثر النمو الجسمي على سلوك الطفل المتوقع، وكذلك يؤثر السلوك على النمو الجسمي، ويستطيع طفل هذه المرحلة إتقان المهارات المختلفة عن طريق التقليد الذى يساعده على نمو واكتساب القيم المختلفة، فنجد تمكن طفل هذه المرحلة من فتح وغلق الأشياء التى يصل إليها بدافع المغامرة وحب الاستطلاع والرغبة فى البحث

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٢) حسن محمد حسان: طفل ما قبل المدرسة الابتدائية – دراسات وبحوث تربوية – مكة المكرمة، مكتبة الطالب الجامعي، ١٩٨٦م، ص٤٤.
(٣) فؤاد أبو حطب، آمال صادق: نمو الإنسان من مرحلة الجنين إلى مرحلة التسنين، ط٢، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٩٠م، ص ص ٢٩١-٢٩٢.

والاستكشاف (١) ، ويكتسب الطفل مهارة التعامل مع الأشياء الأصعب من ذلك لما يتمتع به من قدرة كبيرة على المحاكاة، ويبدى الطفل اهتمامه بالأنشطة التى تحتاج إلى مهارة كنط الحبل واستخدام المفك والقبض على الأشياء وركوب الدراجات (٢) ويلتقط طفل هذه المرحلة مجموعة من عادات وسلوكيات المقربين له على سبيل التقليد فيتخذ منهم قدوة فى تصرفاته وسلوكياته ، مما يظهر ضرورة الاهتمام بما يعرض على مرأى ومسمع الطفل يومياً مما يقدم له فى برامجه الموجهة من خلال التليفزيون من معلومات وسلوكيات ومعارف يكون من خلالها قيمه واتجاهاته فيما بعد.

ب- النمو اللغوى :

تعتبر اللغة أداة هامة من أدوات التفكير، كما تعد مرحلة ما قبل المدرسة من أفضل المراحل التى يتمكن الطفل خلالها من أن يتعلم ويزيد من حصيلته اللغوية ، كما يحاول طفل هذه المرحلة أن يفهم معنى الكلام الذى يسمعه من الأفراد الذين يحيطون به وتأتى عملية الفهم قبل التعبير اللغوى الصحيح ، ثم ينسج الطفل العديد من المفردات والمعانى ، وقد يربط بعضها ببعض فى جمل مفيدة ذات معنى (٣) ، كما يملك الطفل ناحية اللغة فى تمام عامه الرابع أو أقل قليلاً ، وفى هذه الحالة يستطيع الطفل أن يعبر عن مشاعره ويعرف الآخرين باحتياجاته (٤) ، فللنمو اللغوى فى هذه المرحلة قيمة كبيرة فى التعبير عن النفس والتوافق الشخصي والاجتماعي ، ويمتاز هذا النوع من النمو بالسرعة تحصيلاً وتعبيراً وفهماً، حيث يلتقط الطفل العديد من الكلمات والجمل من المحيطين ويرددها دون أن يعى معناها (٥) ، مما يزيد من الحصيلة اللغوية لديه زيادة سريعة ويكثر

(١) رناد يوسف الخطيب : رياض الأطفال – واقع ومنهاج ، عمان ، الأردن ، دار الحنان ، ١٩٨٧ ، ص٦٥٠ .
(٢) مواهب إبراهيم عياد:نمو الطفل وتنشئته من الميلاد حتى السادسة،الإسكندرية،منشأة المعارف،١٩٩٤م ،ص٢٣٥
(٣) خليل ميخائيل معوض : سيكولوجية النمو فى الطفولة والمراهقة ، ط٢ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٣م ص١٦٦ .
(٤) محمد عماد الدين إسماعيل : الطفل من الحمل إلى الرشد ، القاهرة ، دار العلم للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩ ، ص٣٧٤
(٥) حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو – الطفولة والمراهقة ، ط٥ ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٠م ، ص١٨٨

الطفل من الأسئلة التى تدور حول الاستفسار عن موقف أو موضوع معين رغبة فى حب الاستطلاع واكتساب معلومة جديدة ، وقد يكرر الطفل أسئلة يعرف إجابتها مسبقاً والهدف من ذلك هو التأكد من المعلومات التى اكتسبها ، أو لمجرد اللهو اللفظى وجذب انتباه الكبار ، ومن أهم مظاهر هذا النمو اللغوى اتجاه التعبير اللغوى لطفل ما قبل المدرسة نحو الوضوح ، ودقة التعبير والفهم، كما يتحسن النطق ويختفى الكلام الطفلى مثل الجمل الناقصة والإبدال وغيرها (١) ، وتظهر قدرة الطفل على تحصيل عدد كبير من المفردات وفهمها بوضوح وربطها مع بعضها البعض فى جمل ذات معنى ، وكذلك يتجمع لدى طفل ما قبل المدرسة قدرة كبيرة على تكوين جمل تتكون الواحدة من أربع إلى ست مفردات(٢) ، كما يعبر كلام الطفل خلال هذه المرحلة عن رغباته وحاجاته وأهدافه وخبراته، دون أى اعتبار لتعليقات الآخرين ، وتعد لغته وظيفة اتصال ضرورية تعمل على مساعدته على تحقيق التوافق النفسى والاجتماعي، وهى وسيلة التفاهم بينه وبين من حوله ، فيمكنه من خلال هذه اللغة تبادل المعلومات والمعارف والمشاعر والأفكار ، فلغة طفل هذه المرحلة تشكل نوع من الاتصال يمارسه الطفل مع مجتمعه، ليسهل له التعامل مع الآخرين ، وهى تشكل مكون أساسي لأفكاره ومعتقداته ومبادئه فيما بعد .

- النمو اللغوى واكتساب القيم :

تتأثر مفردات طفل ما قبل المدرسة – وتراكيبها وقواعدها بأكثر الأفراد مخالطة له ، وأحبهم إليه من أفراد أسرته وأصدقائه وإخوته ، ويغلب على لغته مظاهر التقليد لهؤلاء الأفراد ، حتى إن لغته تكاد لا تختلف عن لغتهم ، كما يتمتع طفل هذه المرحلة بقدرة فائقة على ترديد وتكرار العبارات والألفاظ المتداولة، ولذا ينبغى الاستفادة من النمو

(١) سعدية محمد بهادر : علم نفس النمو ، مرجع سابق ، ص٢١١ .
(٢) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو ، مرجع سابق ، ص١٨٨ .

اللغوى خلال هذه المرحلة إلى أقصى درجة[1] ، وذلك عن طريق العمل على انتقاء الألفاظ والعبارات التى يتعامل بها الكبار أمام الطفل ، مع إعداد مزيد من الأناشيد الخفيفة الهادفة المدعومة بالقيم والاتجاهات الإيجابية لإلقائها على مسامع الطفل فى أوقات تواجده بالبيت أو الروضة ، مع إبعاد الطفل ما أمكن عن كل ما يسهم فى إكسابه ألفاظاً غير لائقة ، تلك التى تمتلئ بها المسلسلات والأفلام والإعلانات التليفزيونية وتحذير الطفل منها ، ومحاولة إيجاد دور حيوى لبرامج الأطفال التليفزيونية الموجهة لطفل ما قبل المدرسة للارتقاء بلغته وألفاظه ، أى أنه لا بد من تقييم ما يعرض على مسامع الطفل إعلامياً ، خاصة وأن طفل ما قبل المدرسة يتكون لديه خلال هذه المرحلة ثروة من المحصول اللفظي كبيرة ، تلك الثروة التى تجعله قادراً على فهم التعليمات التى تعطى له ، بل وفهم القصص والحكايات التى تروى على مسامعه ، أو يشاهدها من خلال برامجه التليفزيونية الموجهة ، والتى لا بد أن تكون هادفة ومليئة بالقيم التى تنمى فى الطفل كل ما هو إيجابي، وتعمل على القضاء على السلبيات التى توجد فى البيئة المحيطة به .

ومن المعروف أن المحصول اللغوى لطفل ما قبل المدرسة يتوقف على ذكائه، وعلى ظروف البيئة المحيطة به والتى تهيئ له ظروف الاستماع اللغوى الجيد كوجود برنامج تليفزيوني موجه للطفل يهدف إلى تنمية بعض جوانب النمو اللغوى ، بجانب انتظام الطفل فى الروضة واهتمام معلمته بتنمية هذا المحصول مع اهتمام الآباء والأمهات بتدعيم الثروة اللغوية والمحصول اللغوى للطفل ، وكذلك العمل على تحسين المستوى الاقتصادى والاجتماعي لبيئة الطفل ما أمكن بداية من العمل على استغلال نمو المهارات القرائية عن طريق توفير المكتبات القريبة من الطفل ، والتى يتوافر بها القصص الملونة الجذابة للطفل ووجود المعلمة المتخصصة التى تحكى له هذه القصص بطريقة جذابة ، مع توعيته مسبقاً

(١)محمد عبدالظاهر الطيب ورشدى عبده حنين:الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة،الإسكندرية،منشأة المعارف د.ت،ص٨٦.

بأهمية القراءة وفوائدها وتحذيره من بعض العادات السيئة التى قد تمارس مع القراءة(١) ويمكن التدرج فى ترغيب الطفل فى القراءة ، بعرض مجموعة من الأناشيد والأغنيات البسيطة فى المعنى ، القليلة فى الألفاظ ، الواضحة فى الكلمات والقصيرة فى الحجم فى برامجهم التليفزيونية الموجهة ، حتى يسهل على الطفل حفظها وترديدها والتى تسهم فى نفس الوقت فى إكسابه مزيد من القيم والاتجاهات الإيجابية ، وكذلك يمكن الاستفادة من تمتع طفل ما قبل المدرسة بميزة حب التكرار بتقديم النماذج والشخصيات المحببة للطفل من خلال هذه البرامج والتى يتوحد معها ويقوم بتقليدها ، ومن ثم تنمو مهاراته اللغوية المختلفة والتى هى مظهر من أهم مظاهر النمو العقلى ، لكونها وسيلة من وسائل التذكر والتفكير.

جـ النمو العقلى :

يطلق البعض على هذه المرحلة ، مرحلة السؤال ، فما أكثر أسئلة الطفل فى هذه المرحلة ، والتى تتنوع بين ماذا ؟ ولماذا ؟ وأين ؟ ، وكيف ؟ ، ومن ؟ ذلك لأن الطفل يجد علامة استفهام بالنسبة لكل شئ، وفى نفس الوقت لديه تطلع من أجل الاستزادة العقلية والمعرفية ، فهو يريد أن يعرف كل شئ من الأشياء التى تثير انتباهه ، ويريد أن يفهم الخبرات التى يمر بها ، فهو يسأل ويستمع للإجابة وقد يفهم الإجابة وقد لا يفهم ، فحوالى ١٠ –١٥٪ من أحاديث طفل ما قبل المدرسة عبارة عن أسئلة .(٢)

كما تنمو خلال هذه المرحلة القدرة على إدراك الأحجام والأشكال والألوان والمساحات ، وتتحدد بدايات النشاط الرمزى ، فنجد أن استجابة الطفل تحدد على أساس معنى المثير وليس على خصائصه الطبيعية ، فالمثيرات تكتسب معانى مختلفة

(١)هبه الله السمرى : " علاقة التعرض للتليفزيون بالميول القرائية للطفل " ، مقررات المؤتمر التاسع ، القاهرة جامعة عين شمس ، مركز دراسات الطفولة ، ١٩٩٥م ، ص١٥٥ .
(٢) حامد عبد السلام زهران : علم نفس النمو ، مرجع سابق ، ص٢٠٣ .

ويستخدم الطفل المثيرات ليرمز بها لأشياء معينة (١) ، وتتحول مفاهيم الطفل تدريجياً ليصبح قادر على إجراء التصنيف البسيط معتمداً فى ذلك على مدركاته الخاصة ، ويتطور لدى الطفل مفهوم الصنف والفئة ويظهر ذلك فى استخدام كلمات مثل كل وبعض ، كما يتأثر فهم الطفل للموقف طبقاً لاستيعابه . (٢) وتعد سنوات العمر من الرابعة حتى السادسة فترة نمو هامة فى تفكير الطفل ، حيث ينتقل التفكير من التفكير اللامنطقى اللامحدود إلى التفكير المنظم العملى فى نهاية المرحلة ، ويرى " بياجيه Piagea " أن تحول التفكير من مرحلة إلى أخرى شرط ضرورى لحدوث تحولات مماثلة فى اللغة والتعلم والذاكرة والقدرة على التخيل ، فالتعبيرات الحادثة فى الذاكرة واكتساب اللغة يتبعها بالضرورة تحولات فى مجال الإدراك والتفكير. (٣)

- **النمو العقلى واكتساب القيم :**

تزداد رغبة طفل ما قبل المدرسة فى معرفة كل ما يدور حوله ، ويثير انتباهه كل ما يراه ويشاهده فى بيئته المحيطة أو على شاشات التليفزيون ، وتعتبر هذه المرحلة أساس الحماية لعقلية الطفل فيما بعد ، مما يوجب معه العمل على توسيع مدارك الطفل ، مع تشجيع الطفل على الاستكشاف وتحفيزه للمغامرة وحب الاستطلاع وطرح التساؤلات مع إعطائه الفرصة للاستنتاج والاستقصاء من خلال تنويع المثيرات أمام الطفل ، ويرى "مكدوجل " أن الذى يجعل الطفل يتعجب ويتساءل ويفحص ويجرب هو حب الاستطلاع والرغبة فى البحث، فالطفل يكتسب معلوماته ، وتنمو معارفه عن طريق خبراته التى يمارسها بنفسه نتيجة استعماله لعضلاته أو عن طريق حواسه المختلفة التى تعتبر أبواب المعرفة لديه . (٤)

---

(١) محمد عبد الظاهر الطيب ورشدى حنين : مرجع سابق ، ص٨١ .
(٢) محى الدين توق،عبد الرحمن عدس: أساسيات علم النفس التربوى ، الأردن ، دار العلم للنشر ، ١٩٨٤م ، ص٨٥.
(٣)محمد ثابت على الدين : النمو الإنسانى ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩٣م ، ص١٩٩ .
(٤) حامد عبد العزيز الفقى : دراسات فى سيكولوجية النمو ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٨٢م ، ص١٧٢ .

ويحتاج طفل ما قبل المدرسة لمثيرات متعددة تشبع حاجته إلى المعرفة وتعمل على تزويده بالخبرات المختلفة ، فالحرمان من تنوع المثيرات فى مرحلة ما قبل المدرسة يعد حرماناً من العوامل المساعدة على النمو ، وحرماناً لأعضائه وحواسه من أداء وظائفها (١) وقد أثبتت الدراسات أن بيئة الطفل الغنية بالمثيرات المتنوعة تساعد على نمو وإثراء القيم التربوية بشكل عام وتسهم فى تنمية القيم العلمية بشكل خاص ، يحدث ذلك إذا سعى المحيطون بالطفل إلى توسيع البيئة التى يعيش فيها بجانب تنوع المثيرات الطبيعية فى بيئته (٢) فاصطحاب الطفل إلى الرحلات والنزهات وإلى المتاحف والمصانع من شأنه أن ينمى القيم السياسية الوطنية كالانتماء والحرية واحترام حقوق الآخرين وتقبل آرائهم كما يسهم فى تنمية القيم الخلقية والاجتماعية والاقتصادية ، بجانب تنمية القيم العلمية والجمالية .

ـ النمو الانفعالي :

يبلغ نشاط الطفل الانفعالي مداه عند بداية الرابعة ، بحيث يمكننا أن نقول أن كل خبرة انفعالية يشعر بها الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة تكون على درجة كبيرة من الحيوية والقوة بشكل لا يمكن أن يتكرر بمثل هذه القوة فى حياته المستقبلية (٣) ، وتمتاز انفعالات طفل هذه المرحلة بالقوة وسرعان ما تنتقل من انفعال لآخر ، لكونها قصيرة المدى ، متحولة المظهر ، حادة مع شدتها (غضب شديد – حب شديد – كراهية شديدة) مع تنوع هذه الانفعالات وانتقالها من انفعال لآخر ، فلا يستقر الطفل على لون واحد منها فهو سرعان ما يضحك ثم ما يلبث أن يبكى (٤) ، وتظهر فى هذه المرحلة حاجة الطفل للشعور بالأمن والأمان والحب والعطف ، فهو يحتاج من والديه أن يساعداه على أن

(١) هدى محمد قناوى : الطفل تنشئته وحاجاته ، مرجع سابق ، ص١٤٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص١٤٧ .
(٣) أحمد صالح : علم النفس التربوي ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨١م ، ص١٣٨ .
(٤) مواهب إبراهيم عياد وليلى محمد الخضرى : إرشاد الطفل وتوجيهه فى الأسرة ودور الحضانة ، الإسكندرية منشأة المعارف ، ١٩٩٥ م ، ص١٧٣ .

يحبهما، باعتبار أن حبه فى هذه المرحلة يتركز حول أبويه ، فإذا ما وفرا له الحب والحنان والرعاية ارتقى لديه انفعال الحب والحنان، وإذا لم يتوفر له ذلك ، فإن مشاعر الحب والحنان تتمركز حول ذاته ، ويظهر لديه العناد والمقاومة التى تميز سلوكه خلال هذه المرحلة ، وتظهر لدى الطفل مشاعر الخجل والإحساس بالذنب والشعور بالنقص، وإذا أتيحت الفرصة للطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة للالتحاق بالروضة ، فإننا نجد أن انفعالاته بالروضة أهدأ بكثير من انفعالاته بين ذويه فى المنزل ، حيث تتنوع انفعالات الطفل فى الروضة فى مجال اجتماعي متسع ، يشتمل على أقرانه ومعلمته ، فى حين أن انفعالاته فى المنزل تنصب على عدد محدود من أفراد أسرته ، ويخضع الطفل فى الروضة لبعض التعليمات التى تحد من حريته المطلقة التى يتمتع بها عند ذويه.

- النمو الانفعالي واكتساب القيم :

لما يتميز به طفل ما قبل المدرسة من تحول الانفعالات مع شدتها ، وبزوغ الحاجة للرعاية والحنان والأمن والاطمئنان ، فإن ذلك يؤكد أهمية أن يراعى المحيطون بطفل هذه المرحلة عرض الخبرات الهادفة التى تثرى وتنمى حاجات النمو الانفعالي لديه ، وتبعده عما يثير الخوف والتوتر والقلق والحيرة فى نفسه ، مع محاولة تحويل انفعال الغيرة لانفعال محايد يعلى من قيمة التنافس بين الطفل وأقرانه، فالقيم الدينية والخلقية وبجانب القيم الاجتماعية مثل قيمة الإيمان والتسامح والعطف واحترام الكبير والإخاء والمشاركة قد تسهم فى نمو مشاعر الطفل ووجدانه فى الاتجاه الإيجابي ، فينبذ الكراهية والعناد ويبتعد عن الوحدة والانعزال ، ليكون سوياً يحسن التعامل مع أقرانه وأقاربه ومعلميه ، يحترم والديه ويحسن معاملتهما ويحترم الكبار ويعطف على الفقراء والمساكين ويشارك الآخرين فى مناسباتهم المختلفة .

هـ النمو الاجتماعي :

فى بداية هذه المرحلة يرتبط الطفل ارتباطاً وثيقاً بأمه نظراً لأنها هى التى تتولى إشباع حاجاته الأساسية ، وبمرور الوقت يتعود الطفل التعامل مع بقية أفراد أسرته ويتقدم الطفل فى العمر تتسع دائرة معارفه ، لتشمل أناس من خارج الأسرة من الأقارب والأصدقاء والجيران ، ولكنها تظل محدودة بهذه الحدود ، فلا يقيم الطفل فى بواكير هذه المرحلة علاقات طيبة مع الغرباء(١) .

ويصعب فصل النمو الاجتماعى للطفل فى هذه المرحلة عن باقى أنواع النمو، فهو يرتبط ارتباطاً وظيفياً بمظاهر النمو الجسمي واللغوى والعقلى والانفعالى ، وخلال هذه المرحلة يتعلم الطفل كيف يتوافق مع نفسه ومع الآخرين (٢) ، " ومن دلائل نضج الطفل اجتماعياً فى نهاية هذه المرحلة ، أنه يستطيع أن يرد على كثير من الأسئلة بما يحقق مصلحته ، ولو كان الرد مخالفاً للحقيقة ، كما يلعب الخيال النامى دوراً فى ابتكار المعاذير والحيل المختلفة ، ولا يمكن أن يسمى هذا السلوك كذباً من الوجهة السيكولوجية بل هو وسيلة من وسائل التكيف مع الحياة الاجتماعية المكتشفة " (٣) .

وتنمو لدى طفل ما قبل المدرسة الحاجة إلى الانتماء والقبول الاجتماعى ، فالألفة التى تخلقها المحبة داخل الأسرة تنقلب وتتحول إلى ولاء لهذا المجتمع الصغير ، ثم رغبة فى الانتماء إلى جماعة الأقران والأصدقاء ، ثم لجماعات غير نظامية فى محيط أسرته ، ثم تنمو الرغبة فى الانتماء للجماعات النظامية من أقران ومعلمات داخل المؤسسة التربوية الأولى وهى رياض الأطفال (٤) التى تسهم مساهمة فعالة فى نمو الحاجة إلى اكتساب المهارات الاجتماعية مثل مهارة الاستقلال الذاتى ومهارة المشاركة واحترام الذات، وهما

(١) عبد الرحمن محمد عيسوى : دراسات فى السلوك الإنسانى ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٩١م ، ص٢٤٥ .
(٢) محمد عبد الظاهر وآخرون : مرجع سابق ، ص٩٩ .
(٣) علاء الدين كفافي : رعاية نمو الطفل ، القاهرة ، دار قباء للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨م ، ص٢٤ .
(٤) سمية أحمد فهمى : علم النفس وثقافة الطفل ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٧٩م ، ص١٧٥ .

مهارتان يساعدان طفل هذه المرحلة على تحقيق أكبر قدر من التوافق والتكيف مع مجتمعه (١) ، ولعل أهم ما يميز السلوك الاجتماعى له قدرته الفائقة على التقمص والتقليد خاصةً للشخصيات التى تثير اهتمامه وإعجابه ، كما يزداد اندماج الطفل فى كثير من الأنشطة ، فهو يتعلم الجديد من الكلمات والأفكار التى تهيئ له الأرضية المناسبة لتحوله إلى كائن اجتماعى .

ـ النمو الاجتماعى واكتساب القيم :

يحتاج طفل ما قبل المدرسة إلى تعلم الآداب والمعايير والقيم ذات الطابع الاجتماعي التى تساعده على ممارسة الإدراك الاجتماعي السليم الذى من خلاله يستطيع الطفل التمييز بين الخير والشر ، والصدق والكذب ، والمباح والممنوع ، كما يعطى النمو الاجتماعي للطفل بتدرج هذه المرحلة فرصة كبيرة لنمو قيم التعاون ، والمشاركة مع الآخرين وعقد الصداقات ، وتبادل الآراء المختلفة معهم ، بل إن الطفل يتقن كافة المعاملات الاجتماعية عند الانتهاء من هذه المرحلة (٢) ، كما يتداخل نمو القيم ذات الصبغة الاجتماعية مع القيم الدينية والوجدانية لتشوب المحبة والتسامح علاقات الطفل مع الآخرين فى نهاية هذه المرحلة ، وتتسع دائرة الانتماء من انتماء الطفل لأسرته ومجتمعه إلى انتماء لبلده ووطنه ، أى يحدث نمو فى قيم الطفل ذات الطابع الوطني السياسي .

وـ النمو الحركى :

تعد مرحلة ما قبل المدرسة مرحلة النشاط الحركى المستمر ، وتمتاز حركات الطفل فيها بالشدة وسرعة الاستجابة ، وينحصر النمو الحركى خلالها فى العضلات الكبيرة ، وبعد ذلك يسيطر الطفل بالتدريج على حركاته وعضلاته الصغيرة ، بفضل التدريب المتقدم نحو النضج (٣) ، ويستعمل الطفل السلالم والقضبان المتشابكة للتسلق

(١) علاء الدين كفافى : مرجع سابق ، ص٨٣ .
(٢) سهير عجلان : علم نفس النمو ، القاهرة ، دار الكتاب ، د.ت ، ص٨٧ .
(٣) إيمان عبد السميع أباظة : علم نفس النمو ، القاهرة ، مطبعة النهضة الحديثة ، ٢٠٠٠ ، ص١١٧ .

والقفز، ويظهر الطفل براعة فى التوازن والتزحلق والانزلاق ، بل ويظهر تفضيل الطفل لاستخدام اليد اليمنى عن اليسرى (١) ، " وتتضح خلال مرحلة ما قبل المدرسة الحاجة إلى اكتساب مهارة اللعب ، حيث يتعلم الطفل عن طريقها العادات الاجتماعية مثل أصول اللعب ، واستخدام الأدوات الخاصة به ، وتنمو لديه روح التعاون والمشاركة ، والقدرة على عقد الصداقات " (٢) ، فاللعب من شأنه أن يشبع حاجات الطفل النفسية بشكل عام كما يسهم فى فهم المشكلات التى يتعرض لها الطفل والوقوف على طرق علاجها .

ـ النمو الحركى واكتساب القيم :

يعمل النمو الحركى فى مرحلة ما قبل المدرسة على إتاحة الفرصة الواسعة لنمو قيم الطفل بكافة أشكالها ، حيث تنمو قدرة الطفل على أداء فريضة الصلاة بطريق التقليد معطياً بذلك نموذجاً لنمو القيم الدينية ، ويكتسب القدرة على المشاركة فى بعض الأعمال المنزلية بدقة واتقان ، ليكتسب قدرة على نمو بعض القيم الاقتصادية ، كما يتمكن من المشاركة والتعاون مع جماعة الرفاق لتنمو قيمه الاجتماعية والخلقية .

وبهذا العرض تكون الدراسة قد أوضحت العلاقة بين خصائص نمو طفل ما قبل المدرسة واكتساب القيم لديه ، وإذا كانت مرحلة طفل ما قبل المدرسة مرحلة حيوية لنمو واكتساب القيم التربوية فلا بد وأن تعمل الدراسة على تناول المصادر التى يمكن للطفل أن يستقى منها قيمه ويبنى اتجاهاته ويكون مفاهيمه .

٦ـ مصادر القيم لدى طفل ما قبل المدرسة :

تتعدد وتتنوع المصادر التى يمكن للطفل أن يستقى منها قيمه ويكون مبادئه واتجاهاته ، وبرغم هذا التعدد والتنوع تظل عملية تنمية القيم لدى الطفل خاضعة للتنشئة الاجتماعية التى تتم داخل المجتمع أو الجماعة التى يعيش فيها ، وهذه العملية تتم مروراً

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٢) عبدالحميد عبد الرحيم:قواعد التربية والتدريس فى الحضانة ورياض الأطفال ،القاهرة ،الأنجلو المصرية،١٩٨٤م ص٥٣.

بمراحل مختلفة ليكتسب الطفل قيمه من خلال التنشئة الاجتماعية عن طريق مؤسساتها الموجودة فى المجتمع باختلاف أنواعها ،حيث تعمل هذه التنشئة على إدخال القيم والعادات فى نفس الطفل وتحببها إلى نفسه ، وتشكلها بالشكل الذى ينسجم مع ثقافة بيئته، فينشأ منذ طفولته على الاعتزاز بها ، ولا يستطيع التخلص منها ، لأنه لا يعرف غيرها ولأنه شب عليها وتغلغلت فى أعماقه وأصبحت مكوناً من مكونات شخصيته . (١)

ومن هنا تعد القيم مفهوم اجتماعى يربط بين الفرد والمجتمع بكل مؤسساته بداية من الأسرة وجماعة الرفاق ومؤسسات التربية ووسائل الإعلام ، وهذه المؤسسات لكل منها نمط خاص بها فى أثناء آدائها لدورها ، هذا إلى جانب أن كلاً منها يحاول أن يركز على نوعية معينة من القيم ويسعى إلى إكسابها للأفراد المنتمين إليها ، ومن هذه المؤسسات ما يلى ...

أ- الأسرة　　ب- رياض الأطفال　　ج-جماعة الرفاق

د- مؤسسات العبادة　　هـ- وسائل الإعلام

وتتناول الدراسة كل منها على حده فيما يلى .....

أ- الأسرة :

تعد الأسرة اللبنة الأولى فى بناء أى مجتمع من المجتمعات ، وهى الموقع الأول لبناء الإنسان ، كما أنها الخلية الأساسية فى تكوين المجتمع ، مهما تنوعت الأسباب وتعددت، لتظل من حيث الأساس والشكل ذات مدلول واحد ، ولا يغرب عن البال أن لها معنى آخر فى اللغة ، لو فحص فى ناحية الدلالة العامة لتوافق معها ، إذ يقال : أسرة المرء هى أهله ، ويقال : الأسرة هى الدرع الحصينة ، والأهل عادة وعرفاً هى زوج المرء وأولاده (٢)

(١) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق ، ص٣٤٣ .
(٢) أبو بكر الرازى : مختار الصحاح ، ط٩ ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٩٧٢ ، ص ٤٣١ .

ولقد أجمعت الدراسات النفسية والتربوية على أهمية البيت والأسرة فى تكوين شخصية الطفل وفى تشكيل سلوكه فى الحياة يافعاً وراشداً وكبيراً (١).

وإذا كانت الأسرة هى النواة الأولى للمجتمع فيجدر بنا أن نوضح أن قوتها وتماسكها من أسباب قوة المجتمع وتماسكه ، وهى كمجتمع صغير عبارة عن وحدة حية ديناميكية لها وظيفة تهدف إلى نمو الطفل نمواً اجتماعياً ، ويتحقق هذا الهدف بصفة مبدئية عن طريق التفاعل العائلي الذى يحدث داخل الأسرة والذى له دور هام فى تكوين شخصية الطفل وتوجيه سلوكه(٢) ، وترجع السمات الأولية للسلوك الاجتماعي للفرد إلى المرحلة الأولى من حياته ، وإلى علاقاته بأفراد أسرته واتجاهات هؤلاء الأفراد وأنماط سلوكهم ، وتتكون الدعائم الأولى للشخصية الإنسانية فى محيط الأسرة فى مرحلة الطفولة بل وتعمل العلاقات الأسرية على تطبيع الطفل وتنشئته على الخصائص والسمات الاجتماعية السائدة فى الأسرة ، وهى لا تمثل وحدة اجتماعية منفصلة ، وإنما هى تشتق ثقافتها وأنماط سلوكها ومقومات حياتها بشكل عام من العادات والتقاليد ومن علاقاتها بالمجتمع الخارجي ومدى تشربها لثقافته، من أجل ذلك فإن منهج الإسلام فى التربية يبدأ مبكراً ، إذ يعود إلى بناء الأسرة باعتبارها الأساس الذى لا يصلح البناء بدونه، ليخصها بضمانات قوية منذ نشأتها حتى يضمن إيجاد الأسرة الإسلامية القوية المتحابة السعيدة ويضمن بالتالى بناء الإنسان صحيح الجسم والعقل والنفس، ومن ثم بناء المجتمع الإسلامي القوى(٣) ، " فالطفل أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة وهو قابل لكل ما ينقش ، ومائل إلى كل ما يحال به إليه ، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد فى الدنيا والآخرة " (٤) ، من هنا كان للأسرة دورٌ أساسىٌ فى تنشئه الطفل التنشئة

(١) نبيه إبراهيم إسماعيل : الصحة النفسية للطفل فى ضوء الأثر الإيجابي للحاجات الأساسية للنمو والتغيرات الحياتية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٨٩ ، ص٩١ .
(٢) يوسف الحمادى وآخرون : من هدى الإسلام ، القاهرة ، الجهاز المركزى للكتب ، ١٩٨٦ ، ص١٥٩ .
(٣) محمد نبيل غنايم : فى التشريع الإسلامي ، القاهرة ، دار الهداية ، ١٩٩٤م ، ص٩٨ .
(٤) الغزالى : إحياء علوم الدين ، ج٣ ، كتاب الآداب الاجتماعية ، مكتبة عبد الوكيل الدروبى ، د.ت ، ص٧٣ .

الاجتماعية الصالحة وتحويله إلى كائن اجتماعي ، والتنشئة الاجتماعية فى هذا الصدد إنما تعنى أن يتم تدريب الطفل عن قصد بواسطة آخرين ليتشرب قيم مجتمعه وعاداته ومعتقداته ، والأعراف السائدة ، وإعداده للقيام بدور كشخص صالح فى هذا المجتمع ، مع إعداد الطفل ليؤدى دوره فى المجتمع كذكر أو أنثى ، وهذا أيضاً من مسئوليات الأسرة لذلك كان من الواجب على الوالدين اغتنام أيام الطفولة لبناء القيم والعادات الإيجابية

دور الأسرة فى تنمية القيم :

تعد الأسرة من أهم الجماعات الاجتماعية الأولية التى تتولى غرس وتنمية قيم الثقافة العامة للمجتمع ككل ، وفى نفس الوقت غرس القيم التى تعتنقها الأسرة ذاتها حيث تتضمن قيم الأسرة كل أساليب الحياة والتفكير ، وفى كل أسرة مجموعة من أشكال السلوك والاتجاهات المقبولة اجتماعياً تدور حول محاور متعددة ، كالدين والجنس والعمل والإنتاج والتعامل مع الآخرين ، فالفرد يولد وهو خالٍ من المعايير التى تحدد تعامله مع المواقف والأشياء والأشخاص ، وسرعان ما يستجيب الطفل لتعليمات الأسرة فيمتص منها توجيهها للقيم والعادات ، على أن الأسرة تنقل لأفرادها بعضاً من عناصر الثقافة وتقوم بتفسيرها للفرد ووضع أسس القبول أو الرفض لكل عنصر منها(١) ، وهى تقوم بدور الوسيط فى نقل التراث والثقافة المجتمعية ، تلك الثقافة التى يمتص منها الطفل المعايير والأحكام التى تؤثر فى أسلوب تعامله وحكمه على المشكلات وحلها ، وبديهى أن ثمة اختلافات جوهرية بين أساليب تنشئة الأطفال اجتماعياً ، وهذا الاختلاف مرجعه اختلاف تفهم الأسر المختلفة لأنماط ثقافة المجتمع واتجاهاتها نحوها ، كما أن نوع الثقافة ذاتها وخبرات الأسرة فيما يتصل بتلك الثقافة وآمالها وطموحاتها بشأنها تتحكم كثيراً فى اختيار الأسرة للقيم والمثل العليا التى تتولى غرسها فى أبنائها(٢) .

(١) ضياء زاهر : مرجع سابق ، ص ص ٦٢-٦٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص٦٤ .

وللوضع الديني للأسرة أثره العميق فى تنشئة الأطفال وتربيتهم ، فالعلاقة بين أفراد الأسرة والقوة الإلهية تنعكس فى درجة الإيمان العقائدى ، والقيام بالعبادات والتمسك بالشعائر، والتحلى بالخلق الحسن فى القول والعمل ، والأخذ بالقيم الإنسانية الفاضلة التى تدعو لحب الخير وكراهية الشر ، وغرس الاتجاه التعاونى بين الناس والحرص على مصالحهم ، والكف عن إيذائهم ، إذ أن ذلك كله يدركه الطفل ويحسه من خلال تفاعله فى جماعته ، فينمو على نحو يمارس فيه العمل المنتج ، ويحكم ضميره الذى نما فى إطار ديني وخلقى سليم فى جميع مواقف الحياة، بينما ينمو الطفل فى اتجاه مخالف إذا نشأ فى جماعة تهتز فيها القيم الدينية والمعايير الخلقية السليمة ، وتنمو معه بذور الشر والانحراف الخلقى الذى تنعكس آثاره على مواقف الحياة فى المجتمع (١) ، فالأوضاع أو الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية وغيرها التى يعكسها الإطار العام للعلاقات الأسرية تلقى بظلالها على الحياة الأسرية فتخلق جواً اجتماعياً ونفسياً يؤثر بشدة فى تربية الطفل وتكوين شخصيته ، وهكذا تشكل الأسرة الملامح الأساسية لنمو شخصية الطفل وترابطه مع الآخرين.

ب- رياض الأطفال :

يُجمع علماء النفس والتربية على أهمية مرحلة ما قبل المدرسة فى حياة الطفل باعتبارها الركيزة الأساسية التى يستند عليها العمل التربوى المستقبلى ، فإذ صلح الأساس سيكون البناء سليماً ، وتعثر التربية فى المراحل اللاحقة يرجع غالباً إلى إهمال مرحلة ما قبل المدرسة ، حيث تعد هذه المرحلة مرحلة مهمة فى حياة أى إنسان ، لأنها تشكل مرحلة من أخصب مراحل العمر فى بناء وتشكيل شخصية الإنسان ، وتكامل أبعاد نموه الأساسية من جسمية وحركية وعقلية وإدراكية ولغوية وجمالية واجتماعية ونفسية

(١) منير المرسى سرحان : فى اجتماعيات التربية ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٨٩ ، ص١٨٩ .

وروحية ودينية ومهارية وحسية [١] ، وترجع أهمية مؤسسة رياض الأطفال إلى أنها توفر للطفل مالا تستطيع الأسرة توفيره لاعتبارات عديدة منها ، أنها البيئة التى يستطيع الطفل فيها مزاولة نشاطه بحرية ، كما أنها بيئة منظمة تهدف لاستثارة عقلية الطفل ، وتعويده كيفية التعامل مع الآخرين والتكيف مع الأقران [٢] .

وتعد رياض الأطفال مرحلة تمهيدية من شأنها تهيئة الأطفال لدخول المرحلة الابتدائية حيث تسهم رياض الأطفال فى زيادة تأقلم الطفل مع المرحلة الابتدائية بحيث تجعل النقلة لهذه المرحلة أمراً سهلاً ميسوراً ، بدلاً من أن تصبح صدمة للطفل بسبب انفصاله عن حياة الأسرة .

تؤمن فلسفة التربية فى مرحلة ما قبل المدرسة بأن تربية الطفل تبدأ من حيث هو لتمده بالخبرات التى يستطيع أن ينمو عليها فى اتجاه معين وبصورة مرغوب فيها اجتماعياً [٣] ، وهذه الفلسفة من شأنها أن تعرف الطفل بما عليه من واجبات وماله من حقوق ليكون مواطناً صالحاً ، يؤكد ذلك ما جاء فى التقرير الختامى لحلقة النهوض بالتعليم ما قبل المدرسة فى جمهورية مصر العربية المنعقدة فى القاهرة فى الفترة من ٢-٤/٦/١٩٩١م أن الفلسفة التربوية التى تستند عليها مؤسسات رياض الأطفال هى [٤]

١- إتاحة الفرصة للطفل لاستخدام نشاطه الذاتى فى الكشف والبحث والتجريب كدعامات أساسية للتعليم، بحيث يستطيع أن يفسر الظواهر ويوظف الحقائق التى يتعلمها فى تطويع بيئته لإشباع احتياجاته بالقدر الذى تسمح به قدراته .

---

(١) أحمد سيد محمد : " تقويم قصص الأطفال فى مرحلة ما قبل المدرسة " ، مجلة دراسات تربوية ، العدد ٦٧ المجلد التاسع، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٩٤م ، ص١٧١ .

(٢) إبراهيم عصمت مطاوع : التجديد التربوى – أوراق عربية وعالمية ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٧م ص ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(٣) عواطف إبراهيم محمد : المنهج وطرق التعليم فى رياض الأطفال ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩١م ، ص٧

(٤) المركز القومى للبحوث التربوية والتنمية بالتعاون مع مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية ، حلقة النهوض بالتعليم ما قبل المدرسة فى ج.م.ع ،المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية ،القاهرة،١٩٩١م،ص ص١٤-١٥.

٢-إكساب الطفل مبادئ التنظيم المعرفى للتكيف مع مجتمع دائم التغير.

٣-تحديد الأهداف العامة لأى نظام فى ظل المتغيرات الأساسية التى تسود المجتمع فى مقدمتها فلسفة المجتمع وقيمه وأهدافه والظروف والخصائص النفسية للمتعلمين بالإضافة إلى الاتجاهات التربوية المعاصرة(١).

٤-تنمية مهارات الطفل اللغوية والفنية والعددية مع مراعاة الفروق الفردية(٢).

٥-تلبية حاجات ومطالب النمو الخاصة لهذه المرحلة.

٦-تهيئة الطفل لحياة المدرسة.

٧-تكوين اتجاهات مناسبة لدى الطفل ناحية العمل احترماً وممارسة (٣).

ومما أدى إلى زيادة التأكيد على حتمية إنشاء رياض الأطفال ما طرأ على المجتمع من تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية، وما صاحب ذلك من انشغال الأبوين بالعمل مع تحول الأسر من النمط التقليدى إلى النمط النووى، وضيق المساكن، وقلة الفرص المتاحة للعب الطفل مع غيره من الأقران.

فأصبح على هذه المؤسسات أن تتولى مسئولية رعاية الطفل والعناية به اجتماعياً ونفسياً وصحياً بجانب تنمية مواهبهم وقدراتهم وتهيئتهم بدنياً وثقافياً ونفسياً تهيئة سليمة للمراحل التالية بما يتفق مع أهداف المجتمع المصرى وقيمه (٤)، ومن هنا ينبغى أن تكون كل روضة مركز تربوى يستهدف متابعة اكتمال النمو للطفل، والوقوف على التطور الوظيفى السليم لجماعة الأطفال والإسهام فى تزويده بالخبرات والمهارات التى تمكنه من التكيف مع مطالب بيئته، من خلال ما توفره للطفل من ظروف مناسبة للنمو

(١) هدى الناشف: رياض الأطفال، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٧م، ص٣٧.
(٢) محمد عباس عرابى: "رياض الأطفال"، مجلة الوعى الإسلامى، العدد ٤٠٧، أكتوبر ١٩٩٩م، ص٧٧.
(٣) عواطف إبراهيم :تعلم الطفل فى دور الحضانة بين النظرية والتطبيق ،ط٢ ،القاهرة ،الأنجلو المصرية ،١٩٩٩م ص٤٤.
(٤) وزارة التربية والتعليم:الإدارة العامة لرياض الأطفال،"نشرة التوجيهات العامة لرياض الأطفال ٢٠٠٥ /٢٠٠٦ " ص٦.

الجسمي والعقلى والانفعالي والاجتماعي ، والسعى لتنمية شعور الطفل بالثقة فى نفسه وفى الآخرين فى جو من المرح والسعادة ، بجانب تنمية الاستقلالية لديه فى القبول والرفض والذهاب والعودة [١] ، مع تعويده وجود وقت لا يستطيع أن يفعل فيه كل ما يريد وتعويده الرغبة فى العمل مع الغير.

وترجع فوزية دياب ما لمرحلة ما قبل المدرسة من أهمية إلى ما يلى [٢]

١- تمثل مرحلة رياض الأطفال مستهل الحياة ، فهى امتداد وتكملة لمرحلة الحنين ، ولهذا فهى مرحلة قبلية لما يتلوها من مراحل النمو ، وبذلك تصبح الأساس الذى تتركز عليه حياة الفرد .

٢-أنها فترة من الفترات الحساسة بمعنى أنها فترة المرونة والقابلية للتعلم وتطور المهارات ، فمرحلة الطفولة فترة النشاط الأكبر والنمو العقلى الأسرع .

٣-أنها مرحلة الخبرات والانطباعات الأولى ، حيث تترك هذه المرحلة آثارها فى جهاز الطفل العصبى وتظل تؤثر دائماً على جميع خبراته التالية .

ومن الأسباب التى تدعو للعناية بهذه المرحلة ما يلى [٣] .

- يتعلم الأطفال خلال مرحلة ما قبل المدرسة بسرعة متزايده ونمو الذكاء يسير بسرعة كبيرة .
- ظروف الإسكان التى تفتقر إلى أماكن متخصصة للعب ، تجعل انضمام الأطفال لمؤسسة رياض الأطفال ولو لساعات قليلة أمراً فى غاية الأهمية .
- تأثير التربية التى يتلقاها الطفل فى هذه المرحلة على المراحل اللاحقة .

---

(١) يسرية صادق زكريا الشربينى : تنشئة الطفل وسبل الوالدين فى معاملته ومواجهة مشكلاته ، القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٩٦م ، ص١١٠ .

(٢) فوزية دياب :نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة،ط٣،القاهرة،دار النهضة المصرية،١٩٩٩م، ص١٥٨

(٣) أحمد زكى صالح : علم النفس التربوى ، ط٤ ، القاهرة ، النهضة المصرية ، د.ت ، ص ص ١١٦ – ١١٧ .

- الاستثمار فى مجال تنمية طفل ما قبل المدرسة والعناية به صحياً ونفسياً واجتماعياً يمكن أن يؤدى إلى وفرة فى التكاليف المالية الملقاه على عاتق الدولة والمجتمع .
- فى خضم التغيرات العصرية المتلاحقة ، وانشغال الأم بالعمل ، أصبح التحاق الطفل بمؤسسة رياض الأطفال أمراً حتمياً .

دور رياض الأطفال فى تنمية القيم :

يؤدى الأطفال فى هذه الرياض مجموعة من الأنشطة التى تأخذ بيدهم نحو النمو السوى بشتى أنواعه ، لكى يتم تغيير سلوكهم العشوائي إلى سلوك اجتماعي سوى ، ومن شأن هذه الأنشطة أن تزود الطفل بالمهارات اللازمة للتكيف مع أقرانه ومجتمعه وذلك حين يتمكن الطفل من امتصاص القيم المختلفة كآداب الاستئذان والتسامح والمشاركة والتعاون وإلقاء التحايا ومباركة الآخرين فى جو طليق خالى من الضغوط والإرهاق للطفل وهو ما يجعل الطفل يشعر بأن الروضة مكان آمن يتمتع فيه بالأمان ويزيل عن نفسه ما يعتريها من قلق ورهبة وخوف (١) ، وفى الروضة مجال للاستماع إلى القصص الهادفة وممارسة الألعاب الحرة وعمل المسرحيات والتمثيليات المتنوعة ، كما أن مناخ الروضة يعمل على تشكيل جوانب شخصية الطفل واستثمار قدراته واكتشاف مواهبه وإبداعاته والاحتفاظ باتزانه العاطفى ، بما يدعم الاتجاهات المرغوبة لديه (٢) ، وتسهم رياض الأطفال فى إلزام الطفل على السير على نظامها منذ أن يستقبل كل صباح إلى أن يخرج منها عند موعد الانصراف ، ومن المفترض أن يتوافق الطفل مع هذا النظام حتى يتعود عليه ويتعود الانضباط والاندماج مع الجماعة ، علاوة على أن وجود الطفل فى هذا النظام لا يمنع من وجود عدة اختيارات أمامه ، فلا توجد قيود للعب ، بل يترك حراً ، يلعب بما يشاء وكيفما يشاء ، وكما يملى عليه تفكيره ودوافعه ، فالطفل حر ، والنشاطات مهيأة له

(١) زكريا الشربينى ، يسرية صادق : مرجع سابق ، ص١١٠ .
(٢) سعد جلال وآخرون : علم النفس التربوى ، ط٩ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٤م ، ص٥٢٤ .

حسب قدراته وإمكاناته وميوله وكل ذلك يتم من خلال برنامج تربوى يحقق أهداف العمل التربوى ويساعد على نمو قدرات الطفل وإشباع حاجاته وإكسابه القيم التربوية المختلفة ، فمؤسسة رياض الأطفال تساعد الطفل الملتحق بها على التوافق من الناحيتين الشخصية والاجتماعية ، ويعد مجال التربية خلالها مجالاً متسعاً لإشباع إبداعات الطفل وابتكاراته من خلال الأنشطة المتنوعة ، بجانب العمل على تحقيق التوازن بين سلوك الطفل الذاتى ومتطلبات المنهج التربوى فى هذه المؤسسة(١) ، حيث يتعلم الطفل الحياة بالحياة وفقاً لنظام يفرض عليه من غير والديه ، فيلتزم عدم مقاطعة الآخرين أثناء الكلام والتعاون أثناء اللعب وعدم مضايقة الآخرين اتباعاً لقواعد النظام العامة التى يفرضها المنهج التربوى بالروضة(٢) .

وعلاوة على ما سبق ومن أجل أن تصبح مؤسسة رياض الأطفال بيئة أكثر فعالية لغرس وتنمية القيم المرغوبة لدى الطفل ، لا بد من وجود صلة وطيدة بينها وبين الأسرة وذلك لضمان عدم التعارض بين أهداف وأسلوب التربية فى كل منهما ، فالروضة ما هى إلا امتداد للأسرة ، والقاعدة العامة فى رياض الأطفال ، تعاون معلمات الروضة مع أسرة الطفل، ومن أهم مظاهر هذا التعاون ، حرص الروضة على إحاطة الأسرة علماً بخطتها فى العمل مع مجموعة الأطفال(٣) ، بجانب محاولة اطلاع معلمة الروضة والقائمين بالتربية فى رياض الأطفال بأساليب تنشئة الطفل فى أسرته ، ليؤخذ فى الاعتبار أثناء وضع خطة العمل أن تتوافق مع نظام حياة الطفل الواقعى ، وفى هذه الحالة تساعد الروضة الأسرة بالإرشاد والتوعية فى إطار من الاحترام والتقدير .

(١) ثناء يوسف العاص:تربية الطفل– نظريات وآراء،ط٢، الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٤م ، ص١٥٦ .
(٢) محمد سمير حسانين : المؤسسات التربوية ، ط٢ ، طنطا ، دار أبو العينين للطباعة ، ١٩٩٦م ، ص٣٩ .
(٣) هدى قناوى : مرجع سابق ، ص٦٢ .

(جـ) جماعة الأقران :

هى تلك الجماعة التى تتكون من الأطفال الذين هم فى نفس السن والمستوى الاجتماعى ، وذلك عندما تتاح لهم فرصة التواجد فى أماكن لا يوجد بها رقابة أو حزم وهى تحل محل الأقارب ولها أنشطة أساسية تقع فى دائرة اهتمام أعضائها ولها أيضاً قيم ومعايير ثقافية (١) ، وهى جماعة أولية تتميز بالتماسك ، وبعلاقات المودة ، وتتدرج مع الطفل بمرور الوقت تبعاً لتغيرات السن وتدرجه ، ولهذه الجماعة أهمية كبرى فى تكوين نماذج مناسبة للتوحد ، نظراً لكونها متحررة نسبياً من تدخل الكبار وسيطرتهم وتسلطهم (٢)

وإذا كانت هذه الجماعة تتشكل من أصدقاء الطفل الذين يتقاربون فى العمر والميول والهوايات ، حيث يستطيعون ممارسة جميع أنواع السلوك الذى قد يكون مرفوضاً داخل الأسرة ، فهى تتمكن من تكوين ثقافة فرعية خاصة بها يكون تأثيرها أقوى على السلوك الاجتماعى لأعضائها ، ويتوقف مدى تأثر الفرد بها على درجة ولائه لها ومدى تقبله لمعاييرها واتجاهاتها وعلى تماسك هذه الجماعة ونوع التفاعل القائم بين أعضائها (٣) ، حيث يعدل الطفل الكثير من قيمه ومعاييره التى اكتسبها من أسرته تبعاً لما تتطلبه هذه الجماعة ، مما يجعل لتوجيه الآباء فى اختيار الأصدقاء أهمية خاصة ، إذ كثيراً ما تؤدى الصداقة الخاطئة إلى أنواع مختلفة من الانحراف (٤) ، فالطفل يجد فى هذه الجماعة متنفساً لتحقيق رغباته وإشباع حاجاته التى لا يستطيع تحقيقها فى جو الأسرة والروضة ، وتتخذ هذه الجماعة أشكالاً مختلفة تبعاً لنمو الطفل ، ففى البداية تكون جماعة اللعب هى من أكثر التنظيمات بعداً عن التنظيمات الرسمية ، كما تعتبر أولى

---

(1) David B. Brinkhoff : Sociology , Second Edition , New York, West Publishing Company, 1988, P.15.

(٢)رشاد صالح الدمنهورى: التنشئة الاجتماعية والتأخر الدراسى، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٥م،ص٣٩.

(٣) حامد عبد السلام زهران : علم النفس الاجتماعى مرجع سابق ، ص١٣٢ .

(٤) انتصار يونس : سيكولوجية النمو والشخصية ، ط٥ ، الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٨٨م ، ص٦٤ .

الجماعات التى يرتبط بها الطفل فى حياته المبكرة فالأطفال فيما بين الثالثة والرابعة من أعمارهم يفضلون اللعب فى جماعات وحجم هذه الجماعات يتوقف على عمر الطفل ويأخذ هذا الحجم فى الازدياد لتدرج أعمار الأطفال التى تضم هذه الجماعات .

هذا وقد أدرك المربون المسلمون حاجة الطفل إلى جماعة الرفاق ، فأتاحوا له فرصة اللعب مع غيره من الأطفال ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم أتاح لأحفاده اللعب مع أترابهم، وأتاح ذلك للسيدة عائشة ، كما حذا الصحابة حذوه فى ذلك ، كما أتيح لأطفال المسلمين الأوائل تكوين مجتمع خاص بهم عن طريق اللعب بالعرائس والدمى والأراجيح (١) حيث تعد هذه الأدوات مكونات أساسية لعالم يخلقه الأطفال تلقائياً وإرادياً يمتلئ بالنشاط والحيوية التى يحددها هؤلاء الأطفال ، وهذا يعنى الوظيفة الشرعية لجماعة الرفاق فى تحقيق نمو الطفل وتحقيق تطبيعه الاجتماعى ، وإذا كان لجماعة الرفاق التأثير الأكبر أحياناً على سلوك الطفل ، إلا أن ظروف التنشئة الأسرية للطفل تحدد ماهية هذا التأثير ، إيجابي أم سلبى فإذا كانت هذه التنشئة فى صيغة تربوية ملائمة لخصائص نمو الطفل ومناسبة لمرحلته العمرية ، فإن الأقرب إلى الظن أن يتجه الأطفال إلى أقران يدعمون لديهم السلوك السوى ، وإذ لم تكن التنشئة فى صيغة مقبولة تربوياً فهناك احتمالان إما أن يختلط الأطفال بأقران أسوياء يقللون من التأثير السلبى الذى تتركه التنشئة الأسرية أو يختلطون بأقران غير أسوياء، ليكون سلوك الأطفال سلوكاً مجافياً لاتجاهات المجتمع وقيمه ومبادئه الحميدة .

دور جماعة الرفاق فى تنمية القيم :

برزت أهمية هذه الجماعة فى تشكيل قيم الأفراد مع التحولات الاجتماعية فى العقود الأخيرة والتى كان من نتائجها ضعف الروابط بين الآباء والأبناء ، وظهور ما سمى

(١) زيدان عبد الباقى : اعتداد الإسلام بالألعاب الرياضية ، مجلة الوعى الإسلامى ، العدد ٢١٧ ، الكويت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ، ١٩٨٣ ، ص٥٨٩ .

"بصراع الأجيال" بين أعضاء الأسرة الواحدة تجاه مواقفهم من مكونات القيم المختلفة الموجودة فى ثقافة المجتمع ، ولما كان الأقران غالباً ما ينتمون إلى نفس الفترة العمرية ونفس الشريحة الاجتماعية ، فإنه يمكننا القول بأن وظيفتهم تستطيع أن تناصر وتؤيد اتجاهات الأسرة وقيمها بأكثر مما تخالفها ، فجماعات الأقران تمتلك دوراً تربوياً هاماً فى تدعيم القيم التى يسعى إليها المجتمع بما تمثله من ثقافات فرعية ترجع إلى العمر الزمنى لأفرادها ، فتكوينها يسمح بإمكانية إدارة الحوار دون خوف أو خشية سلطة ما ، كما أن تقارب السن بين أفرادها والمستويات الاقتصادية والاجتماعية لهم يكون عاملاً أساسياً فى تكوين قيم مشتركة توجه سلوكيات هؤلاء الأقران ، ومن هنا كانت أهمية العناية ببناء هذه الجماعة المُحددة لما يتبناه الفرد من قيم وما يسير عليه من مبادئ واتجاهات ، ولهذا كله تبدو حتمية رعاية تلك الجماعات وتوجيهها لما لها من أدوار ووظائف هامة فى عملية التنشئة القيمية للأطفال ، فهى تعد المجال الاجتماعي الوحيد الذى ينفصلون فيه عن الكبار ، لتحكم تصرفاتهم مجموعة من القواعد والطقوس والمصالح والاهتمامات ، كما أن هذه الجماعات تعطى أصحابها خبرة بأنواع العلاقات المتساوية أو المتعادلة ، فهم ينشغلون فى هذه الجماعة فى عملية الأخذ والعطاء التى لا يمكن أن توجد فى علاقتهم مع الكبار ، ليكتسبوا أول خبرة تتعلق بالمساواة .

مما سبق يمكن تحرير أهم وظائف جماعة الأقران فيما يلى :

- إعطاء الطفل فرصة للتعامل مع أفراد متساويين ومتشابهين معه ، الأمر الذى يكسبه خبرات جديدة تعجز عنها مؤسسات أخرى كالأسرة والروضة والمدرسة .
- تساعد الطفل على الوصول إلى مستوى الاستقلال الشخصي عن الوالدين .
- تكسب أفرادها الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة .
- تساعد أفرادها على تكوين معايير للحكم على الأشياء والسلوك .

د- مؤسسات العبادة :

تعد مؤسسات العبادة من مساجد وكنائس أحد المصادر الحيوية فى غرس وتنمية القيم والسلوكيات الإيجابية لدى طفل ما قبل المدرسة ، حيث تؤدى هذه الدور وظيفة مهمة فى حياة الطفل من خلال تأكيدها للاتجاهات الخلقية والروحية ودعوتها للاتصال بالله ، والخضوع لسنته وشرعه ، وهى تتميز بمجموعة من الخصائص التى تهيئوها لهذا الغرض ، ومنها إحاطتها بهالة من التقديس والتبجيل مع إيجابية المعايير السلوكية التى تعلمها للأفراد ، كما أنها تسهم فى تحويل التعاليم السماوية إلى سلوك معياري يطبقه الفرد فى حياته (١) وتتبع مؤسسات العبادة الأساليب النفسية والاجتماعية فى غرس قيمها الدينية والاجتماعية والخلقية التى لها تأثير واضح فى التنشئة الاجتماعية للطفل ومن أهم هذه الأساليب الترغيب والترهيب والدعوة إلى السلوك السوي طمعاً فى الثواب ورضا النفس، وكذلك التكرار والإقناع والوعظ والإرشاد وعرض النماذج السلوكية المثالية(٢) فضلاً عما تغرسه مؤسسات العبادة فى الأفراد – صغاراً وكباراً – من اتجاه إلى حب الخير وكره الشر بصفة عامة ، وما تقدمه من اتجاهات وعادات اجتماعية وخلقية وسياسية وتعاونية سليمة بصفة خاصة، وذلك من خلال قيام مؤسسات العبادة بربط الخطب والمواعظ والأنشطة الدينية بمشكلات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والعقائدية..... وغيرها .

دور مؤسسات العبادة فى تنمية القيم :

للدين أهمية خاصة فى حياة الطفل ، فهو عقيدة وسلوك ، له مؤسساته التى تعمل على تحقيق أهدافه وغاياته السامية ، وللدين أثر كبير فى تنشئة الطفل ينعكس على بقية المؤسسات الأخرى العاملة فى مجال التنشئة والضبط الاجتماعي فى المجتمع ، ولا

(١) هدى محمد قناوى : الطفل تنشئته وحاجاته ، مرجع سابق ، ص ٧٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

يستطيع أحد أن يقلل من أهمية وفاعلية دور المؤسسات الدينية فى عملية تنمية القيم والاتجاهات الحميدة لدى الطفل وخاصة فى بلدان العالم النامي ، حيث يتلخص هذا الدور فيما يلى (١) .

١- تعليم الطفل والجماعة التعليم الديني والمعايير السماوية والقيم الخلقية والروحية التى تحكم السلوك بما يضمن سعادة الفرد والمجتمع .

٢- إمداد الطفل – منذ الصغر – بإطار سلوكي معياري نابع من تعاليم دينه .

٣- تنمية الضمير عند الطفل .

٤- توحيد السلوك الاجتماعي والتقريب بين الطبقات الاجتماعية ، مما يساعد على غرس وتنمية قيم المساواة والعدالة فى نفوس الأطفال .

٥- الدعوة إلى ترجمة التعاليم السماوية إلى سلوك عملي فى مختلف المواقف التى يتعرض لها الطفل مع تعريفه كيفية المشاركة الهادفة فى مجتمعه بما يتناسب وتعاليم دينه .

٦- المساعدة فى التغلب على حالات الانطواء التى قد يعاني منها بعض الأطفال ، مع توسيع دائرة احتكاكهم الاجتماعي ، وتولد مشاعر الحب والألفة بين الأطفال بعضهم البعض ، فضلاً عن مساعدتهم فى امتصاص الكثير من جوانب المعرفة .

وتمثل القيم الاجتماعية والخلقية التى تتفق مع تعاليم الدين وأحكامه جانباً مهما لتدعيم الاتجاهات والمفاهيم الدينية لدى الطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة .

مما سبق يتبين مدى أهمية مؤسسات العبادة كمصدر لتنمية القيم والاتجاهات الحميدة لدى أطفال ما قبل المدرسة ، حيث يتوقف الدور الذى تلعبه " مؤسسات العبادة " على مدى مساعدتهم فى إدراك حقيقة أن الدين ليس دروساً تلقي فحسب وإنما هو

(١) أحمد محمود محمد عبد المطلب:التربية الإسلامية بين الواقع والمأمول، سوهاج ، دار محسن للطباعة ، ١٩٩٠م ص ١٧٤.

مضمون قيمي وأخلاقي يستوعبه الطفل منذ الصغر ويستند إليه فى تقويم وممارسة الأمور الاجتماعية والخلقية والموازنة بينها فيما بعد ، كما يتوقف هذا الدور على مدى صياغة التعاليم الدينية بصورة مبسطة قريبة التناول ، تمكنه من التعامل والتكيف مع ما يلم بيئته من متغيرات وتحديات ، وعلى رأسها التطور الهائل فى وسائل الإعلام وتعددها وانتشارها فى بيئة الطفل .

هـ وسائل الإعلام :

يعبر عن وسائل الإعلام فى المعنى الإصطلاحى بأنه عملية توجيه الأفراد عن طريق تزويدهم بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق المؤكدة التى تساعدهم على تكوين رأى صائب عن واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات(١) ، ويعد الإعلام من الظواهر التى طورتها الحضارة الحديثة ، وأمدتها بالمواد والأجهزة والإمكانيات الهائلة،بحيث أصبح يمثل قوة لا يستغنى عنها فى عالم اليوم،على المستويين الشعبى والحكومى،وهو يشكل عنصراً هاماً من عناصر النظام الاجتماعى، يؤثر ويتأثر بكافة عناصره،خاصة إذا أحسن استخدامه ، وهو يساعد على إشاعة الأفكار الجديدة ، ونشر المعلومات الهامة ، وتعميم الاتجاهات البناءة ورفع المستوى الوجدانى والفكرى لأبناء المجتمع ، ولذلك يمكن الحكم على تقدم المجتمع – أى مجتمع – أو تخلفه من خلال ما تقدمه وسائل الإعلام فى ذلك المجتمع ، بمعنى أنه كلما اتسمت البرامج التى تقدمها وسائل الإعلام بالجدية والموضوعية ، كلما دل هذا على تقدم المجتمع ورقيه ، والعكس صحيح (٢)، فالقوة الخطيرة والمؤثرة التى يمتلكها الإعلام سلاح ذو حدين ، يمكن استخدامها فى نشر الخير والعلم وبث العقائد الصحيحة وتدعيم القيم الإيجابية ، وربط الجيل بأمجاده وتاريخه العظيم ، وتوجيه الأمة إلى ما يصلح لها من أمور دينها ودنياها

(١) إبراهيم الإمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ، ط٢ ، القاهرة ، الأنجلو المصرية ، ١٩٩٠م ، ص١٢ .
(٢) محمد على المرصفى : فى التربية الإسلامية ، بحوث ودراسات ، القاهرة ، مكبة وهبه ، ١٩٨٦م ، ص١٨٢ .

وتربية أطفالها تربية حسنة وفى هذه الحالة لا بد من استعمالها والاستفادة مها ، ومن ناحية أخرى فإن الإعلام الهدام يمكن أن ينال بسهولة من تقدم الأمم والشعوب وذلك إذا استعمل لأجل نشر الانحلال وترسيخ الفساد والانحراف ، حين يأتى متأثراً بالثقافات الوافدة التى تمتلئ بالعادات والمبادئ الغربية ، ويرجع ذلك إلى القوى والسياسات المنحرفة الخفية والظاهرة التى تحكمه ، والتى تترك آثاراً مدمرة فى عقول الأفراد وعاداتهم واتجاهاتهم ، وفى هذه الحالة لا بد من التصدى له وإيجاد الحلول لمنع وصول هذه الانحرافات إلى أجيال الأمة(١) .

وأياً ما كانت هذه التأثيرات فإن وسائل الإعلام عامة والتليفزيون خاصة أصبحت ذات أهمية كبرى فى حياة طفل ما قبل المدرسة حيث محدودية ثقافته ومعرفته وعدم إلمامه بمبادئ القراءة والكتابة ، علاوة على ما يتمتع به التليفزيون من انتشار جماهيرى واسع وقوة وتأثير وإقناع ليقدم المعارف والمعلومات ويبرز المفاهيم والمبادئ ويبنى الاتجاهات فى صورة بصرية وسمعية واضحة ، متخطياً حاجزى الزمان والمكان ومعتمداً على الحركة وتنوع اللقطات والمشاهد .

وقد أكدت إحدى الدراسات (٢) على أن ٩٠٪ من أطفال ما قبل المدرسة يقبلون على مشاهدة التليفزيون وهم يقضون ساعات طويلة فى مشاهدة برامجه لمدة تتراوح ما بين ساعة إلى أربع ساعات يومياً ، ويزداد هذا الوقت بنهاية هذه المرحلة، كما يفوق الوقت الذى يقضيه أطفال ما قبل المدرسة أمام التليفزيون الوقت الذى يقضونه فى دور رياض الأطفال ، وتعد الإثارة والتغيير والترقب والتشويق أساليب تأثير قوية للتليفزيون عليهم ، كما يجدون أن مشاهدتهم للتليفزيون لا تخضع للمراقبة فهم يختارون البرامج

(١) محمد أحمد الغنام : " التعليم والإعلام من أجل التربية أفضل للمواطن العربى "، ندوة ماذا يريد التربويون من الاعلاميين، ج١ ، الرياض ، مكتب التربية العربى لدول الخليج ، ١٩٨٤م، ص٦٤ .

(٢) هويدا محمد لطفى : " تأثير الإعلانات والمسلسلات العربية بالتليفزيون المصرى على الطفل " ، رسالة دكتوراه كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص١٤.

بأنفسهم ويتولد لديهم وهم بأن لا أحد يعلمهم أو يوجههم من خلال هذه الشاشة[١] ، ومن الطبيعي أن يترتب على ذلك تغير واضح فى قيم واتجاهات وعادات أطفال هذه المرحلة قد لا تتضح فى صورة بارزة إلا على المدى الطويل ومع تقدم أعمارهم .

دور وسائل الإعلام فى تنمية القيم :

تعد وسائل الإعلام كالإذاعة والتليفزيون والسينما والمسرح والفيديو والمجلات والصحافة مؤسسات مجتمعية ذات تأثير فى تربية الطفل وتكوين اتجاهاته وبناء مبادئه وقيمه، وتتنوع تأثير هذه الوسائل بين الإيجاب والسلب ، فهى تسهم فى إحاطة الناس علماً بموضوعات ومعلومات متعددة فى جميع نواحى الحياة ، ويعد التليفزيون الوسيلة الإعلامية الأكثر جذبا لأطفال ما قبل المدرسة حيث ما يتمتع به من مزايا تعمل على استمالتهم وجذب انتباههم وإتاحة الفرصة لديهم للترفيه والترويح وقضاء وقت الفراغ، وإذا كان للتليفزيون كوسيلة إعلامية هذه التأثيرات ، فإنه يعتمد عليه فى تثبيت القيم الإيجابية والمحافظة على نموها لديهم ، يؤكد ذلك ما توصلت إليه "دراسة فاطمة يوسف القلينى"[٢] من أن ٧٠٪ من معلومات طفل ما قبل المدرسة يستمدها تقريباً من التليفزيون ، فالتليفزيون يعمل على توسيع مداركه ويفتح أمامه آفاق المعرفة ، ويخلق لديه مزيد من الاهتمامات والأفكار المتنوعة العصرية ، كما يثرى خياله ويدعم الروابط الأسرية داخله ، ويعمل على تنمية بعض القيم العلمية لديه مثل حب الاستطلاع والاستكشاف والرغبة فى المغامرة والبحث[٣] ، بل ويسهم فى سرعة نمو مهاراته الذهنية وترسيخ المبادئ والمفاهيم الإيجابية داخله ، كما تؤكد بعض الدراسات[٤] أن التليفزيون

(١) نوف بنت ابراهيم آل الشيخ : " قيم الطفل بين المنهج الدراسي والبرامج التليفزيونية للأطفال " ، مجلة المعرفة ، العدد ٣٢ ، السعودية ، أبريل ١٩٩٨م ، ص١٢٤ .

(٢) فاطمة يوسف القلينى : " دور وسائل الإعلام فى تدعيم القيم لدى الطفل المصرى " ، المؤتمر السنو ى السادس للطفل المصرى ، تنشئته فى ظل نظام عاملى جديد ، مركز دراسات الطفولة ، جامعة عين شمس ، ١٠-١٣ إبريل ، ١٩٩٣م ، ص٤٧٢ .

(٣) صالح ذياب هندى : أثر وسائل الإعلام على الطفل ، عمان ، الأردن ، دار الفكر ، ١٩٩٠م ، ص١٦٧ .

(٤) عاطف العبد : علاقة الطفل المصرى بوسائل الاتصال ، ط٢ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٩٥م ، ص١٣٣ .

أصبح يزاحم دور الأسرة ورياض الأطفال فى تنمية القيم والعادات الإيجابية لدى أطفال ما قبل المدرسة ، فالقيم والعادات التى تبثها الأسرة فيهم آخذه فى الضمور والاضمحلال لتحل محلها قيم تليفزيونية مشتقة من مسلسلات التليفزيون وبرامجه المختلفة ، بل أضحى التليفزيون سلاحاً ذو حدين ، فهو يدعم دور الأسرة ورياض الأطفال فى تربية أطفال ما قبل المدرسة حين يبث برامج موجهه وهادفة لهم ، ويصبح وبالاً عليهم حين يعمل على بث أفلام ومسلسلات وبرامج متنوعة تمتلئ بالعنف والعدوان والاحتيال والنصب وغيرها من القيم والاتجاهات السلبية .

خلاصة

تناولت الدراسة من خلال هذا الفصل " القيم للطفل فى مرحلة ما قبل المدرسة " وذلك من خلال الاهتمام بتحرى مفهوم القيم فى الفلسفات المختلفة وفى مجال علم الاجتماع وعلم النفس والتربية ، ثم تناولت الدراسة أهمية القيم من الناحية التربوية وأهميتها لطفل ما قبل المدرسة وطرق تكوينها ، وجوانب نمو طفل ما قبل المدرسة وعلاقتها بنمو القيم لديه ، ثم تناولت الدراسة المصادر التى يستقى منها طفل ما قبل المدرسة قيمه ويكون اتجاهاته ، حيث تعد الأسرة أول مؤسسة تربوية يستمد منها الطفل قيمه واتجاهاته يليها رياض الأطفال وجماعة الأقران مؤسسات العبادة ووسائل الإعلام ، خاصة المرئية منها كالتليفزيون الذى يستحوذ على اهتمام طفل ما قبل المدرسة بصرياً وسمعياً وحركياً ونفسياً .

الفصل الثاني :

التحديات الثقافية بإقليم جنوب الصعيد